

## القسم الثاني

### علم النفس

## الفصل الأول

### مفاهيم الذكاء ونظرياته

لقد تعددت مفاهيم الذكاء عند الفلاسفة والمفكرين وعلماء النفس والاجتماع وبعض علماء البيولوجى والتي كانت متناقضة ومتعارضة لوجهات نظرهم المتباينة والتي جاءت طبقا لاتجاهاتهم المختلفة باختلاف نوعية الدراسة لكل فريق، ولذلك لم يصلوا على اتفاق واحد يفسر ما هو الذكاء وأين هو، ولم يصلوا إلى معنى واحد يعرف الذكاء.

وبالرغم من هذا شاعت كلمة الذكاء بين الناس وأصبحت من أقوى الكلمات التي يوصف بها بعض الناس، وجاء علماء النفس والاجتماع واعتبروا الذكاء من أكثر المفاهيم في علم النفس شيوعا وارتباطا بالتحصيل الدراسى والنجاح والتفوق فى المهام التعليمية المختلفة واعتقدوا أنه أحد العوامل الرئيسية للنجاح والتفوق فى الأوضاع المدرسية والحياتية، والذي أدى إلى اعتقاد المعلم والمتعلم بأن الذكاء عامل رئيسى لظهور الفروق الفردية بين الأفراد ( التلاميذ )، مما أدى إلى تصنيف بعضهم البعض بهذا ذكى والبعض الآخر غبي.

وعندما جاء علماء النفس لدراسة وتحديد الفروق الفردية، وجدوا بأن من وصفوه بالذكاء غير قادر على فعل شىء فى موضوعات أخرى ومن الممكن الذى وصف بالغباء فى استطاعته فعلها وتأديتها بصورة أفضل ممن وصف بالذكاء.

ولقد ذهب علماء النفس بعمل مقياس لتحديد درجة الذكاء، فوجدوا بأن المقياس الواحد لا يفيد في تحديد درجة الذكاء، فتعددت المقاييس والاختبارات للذكاء العقلي ولم يجدوا أيضا تفسيرا يحدد أو يعطى معنى للذكاء بسبب تعدد القدرات الفردية المختلفة عند الأفراد وهى أن كل فرد له قدرة معينة لموضوع معين يختلف عن الموضوعات الأخرى. ولتصميمهم على وجود ذكاء عقلي فى الإنسان، ولتعدد الموضوعات والأشياء ولتعدد الاتجاهات والقدرات المختلفة، جعلتهم يأتون لنا بأحدث النظريات فى الذكاء التى تسمى «بالذكاءات المتعددة» واعتبروا بأنه يوجد ذكاء عام يساعد الفرد على فهم وعمل الأشياء، وذكاء خاص وهو القدرة التى تساعده على فعل شيء معين دون الأشياء الأخرى.

ولقد فسروا هذا بأن الذكاء العام الناتج عن العمليات العقلية التى تساعده فى الدراسة والتحصيل والذكاء الخاص يعود إلى قدرة الفرد على فعل شيء معين ويعود إلى أدائه بصورة متميزة عن بقية الأفراد، واقتصرها على بعض الميادين القليلة من الحياة وهى الرياضة والموسيقى والفن والشعر، وأطلقوا عليهم الموهوبين فى هذه الأشياء أى عندهم « ذكاء خاص » لأداء وفعل هذا الشيء بتميز واضح عن بقية الأفراد.

ولذلك ترددت كلمة الذكاء عند عامة الناس وشاعت بينهم والمرادف لها «النباهة» أو «التفتيح» أو «النصاحة» وهى يقظة المرء وحسن انتباهه وتفطنه لما يدور حوله أو لما يقوم به من أعمال..... إلخ وهم

يصفون بالذكاء كذلك الشخص حسن التصرف الذي يصطنع الحيلة لبلوغ أهدافه والذي يقدر على التبصر في عواقب أعماله، كما أنهم يميلون عادة إلى اعتبار الذكاء قدرة عامة شاملة يبدو آثارها في ميادين مختلفة، فالذكي في ميدان التجارة يستطيع أن يكون ذكيا في ميدان السياحة أو الخدمة الاجتماعية أو معالجة مشكلات الناس وحتى مشكلات أطفاله وغيره..... هذا إلى أنهم يرونه موهبة طبيعية لقدرة يكتسبها الفرد بالخبرة والتعلم والتحصيل.

وعلى الرغم من أن اصطلاح «الذكاء» شائع بين الناس، يستخدمونه بكثرة في حياتهم وفي حديثهم اليومي إلا أنك إذا سألت أحدا عن تعريف الذكاء لوجدت أنه يجد صعوبة كبيرة في تحديد معناه وفي وضع تعريف واحد دقيق له، ولعلنا نلتمس العذر لعامة الناس إذا وجدوا صعوبة في تعريف الذكاء، ذلك أن علماء النفس أنفسهم لم يتفقوا فيما بينهم على تعريفه.

### التوضيح الأولي لعدم وجود ذكاء

وأوضح لكم القول قبل المناقشة والتحليل للمفاهيم المختلفة، للاثبات الأولي لعدم وجود «ذكاء عقلي» في عدة نقاط والتي استتبطها من نفس دراستهم، وهي:

١- أن ما ادعوه «الذكاء» ليس شيئا عينيا محسوسا واعتبروه شيئا معنويا مجرد ولذلك لم يستطيعوا أن يجدوه بصورة مادية للمشاهدة

والقياس وذهبوا للاستدلال عليه في سلوكيات الفرد الإنساني وتفكيره فلم يجدوه، لأن هذه الاستدلالات لا تعبر عن قدرة أو صفة عامة مجردة.

٢- جعلوا هذا المصطلح نشاطا عقليا متداخلا بعلاقات عضوية متشابكة مع نشاطات عقلية أخرى مثل التفكير والفهم والتعلم والتحصيل.... فعجزوا عن فصله ودراسته على حدة وكما أنه أثناء محاولات قياسه وجدوا بأن هذا القياس لا يظهر شيئا محددًا نقول عليه ذكاء ولكن نتائج القياس والاختبارات عكست قدرات عديدة خاصة بالأفراد ولم يجدوا ما ادعوه من ذكاء، وبسبب أن التعريف الواضح الدقيق لأي سمة من السمات، إنما يأتي بعد قياسها ودراستها.

٣- تأثر المفكرين والعلماء بتخصصاتهم العلمية وخلفيتهم الثقافية، مما أدى إلى اختلاف الزاوية التي يرون منها الذكاء فمنهم من نظر إليه من ناحية أسباب حدوثه فكانت هناك مفاهيم «عضوية واجتماعية»، ومنهم من نظر إليه من ناحية وظائفه و مظاهره فكانت التعريفات «النفسية» وآخرون نظروا إليه من ناحية طريقة قياسه فكانت التعريفات «الإجرائية» فتعددت النتائج لتعدد زوايا الرؤية ونتج عن ذلك تعريفات جزئية غير شاملة وغير جامعة (وهذا الاختلاف أدى إلى عدم الوصول لشيء معين لما ادعوه من ذكاء).

لقد وضحت بهذه النقاط الثلاثة بأن الشيء أو المصطلح الذي صنعه بأنه شيء غير مادي ولا محسوس، وكما أنه لا يقاس مقياسا مباشرا،

وتتاوله العلماء من زوايا ومنطلقات مختلفة، وبما أنهم لم يستطيعوا الوصول إلى شيء محدد يفسر لنا ما هو الشيء الرئيسي والمسئول عن تواجد الفروق الفردية، فإن الشيء الذي ادعوه غير موجود في الإنسان.

وبهذا التوضيح الأولى الذي نفى قولهم وصنعهم بوجود ذكاء عقلي في الإنسان والمسئول عن التميز والابداع للأفراد (الفروق الفردية). ولعلمك تتيقنون بعد المناقشة والتحليل للمفاهيم الآتية والتي تؤكد لك وإثبات وإيجاد العامل الرئيسي والمسبب لتواجد الفروق الفردية والتي منحت ووهبها الله للناس أجمعين لكي تساعدهم وتجعلهم متعاونين لتسهيل المعيشة معا في البيئات المختلفة الظروف والتعقيد.

### ١- المفهوم القوي:

إن كلمة الذكاء في اللغة العربية لها تاريخ طويل على عكس كلمة Intelligence الأجنبية التي لم يشع استخدامها إلا في أواخر القرن التاسع عشر، والذكاء في اللغة العربية هو «القدرة على سرعة الفهم»، فالمحك الأساسي للفهم هو الذكاء، وللفهم بداية وتمام فبدايته الفطنة وتمامه الذكاء. ويغلب أيضا على تعريف الذكاء عامل السرعة، وقيل أن الذكاء سرعة الفهم وحدته والبلادة جموده وعندما تصل السرعة إلى أقصى حد يقال عن الشخص أنه ألعى والألعى هو الفطن الذكي. وهذا المفهوم عند علماء اللغة جاء متأثرا بوجهات النظر الفلسفية والنفسية لعلماء الغرب.

وللتعليق على هذا المفهوم لإثبات عدم وجود نكاء عقلي للإنسان فسوف أعود وأفسر المعنى اللغوي عند العرب وهو «القدرة على سرعة الفهم»، فهم اعتبروا الذكاء عاملاً رئيسياً للفهم وتفاوتته يعود إلى السرعة. فإذا تناولت كلمة الفهم لوجدناها متاحة وممنوحة لكل الناس بالتساوي الذي يعود إلى وجود المخ (العقل) عند كل الناس، ولعلك تلاحظ أن في استطاعة كل فرد أن يفهم أي شيء عندما يعرض عليه بالعمليات الممنوحة لكل إنسان في مخه وهي (التفكير والتعقل) وهما العمليتان العقليتان المذكورتان في القرآن الكريم ولذلك تلاحظ أن الفهم له بداية وتمام، فبدايته «التفكير» وتمامه «التعقل» وهذا التفسير غير مفسروه علماء اللغة العربية. وبالرجوع إلى عامل السرعة في الفهم والذي رده علماء اللغة السبب الرئيسي للذكاء وتمامه، وهو الذي يؤدي إلى تفاوت درجات الفهم من بطيء إلى سريع الفهم. ولعلك بتفكيرك وتعقلك أيها القارئ تلاحظ استطاعة كل فرد من البشر بأن يفهم موضوعاً أو أي شيء معين بسرعة قصوى ويفهم موضوعاً آخر بدرجة أقل، ولكن من الممكن لهذا الفرد وبإستطاعته أن يصل بدرجة الفهم القصوى لتساوي الموضوع الأقل والأبطأ في فهمه بأبسط الأشياء وهو «التكرار» وهذا التكرار يستغرق من الفرد وقتاً أكثر ولكن نلاحظ بأن هذا الفرد وبالمحصلة النهائية أن يحفظ في ذاكرته (مخه) الموضوعين بدرجة متساوية في الفهم وبمقدور الفرد نفسه استدعاء أي معلومة من الموضوعين بخاصية «التذكر»

التي تعد العملية العقلية الثالثة الممنوحة والمتاحة لكل الناس.... فأين الذكاء؟

ولتوضيح الكلمة الأجنبية intelligence بما تعنيه عند مستخدميها في الغرب نلاحظ أنهم يستخدمونها في وضعها المناسب والمؤدى إلى معنى مفيد لديهم، فهي صفة للأفراد القادرين على جمع وتحصيل المعلومات information بأكثر وأقوى قدرة تحصيلية للمعلومات والبيانات والأخبار وهذا واضح بالنسبة للمؤسسات و التي تدار بأفراد متعددة ومختلفة القدرات في جميع ميادين الحياة، مثل أجهزة المخابرات العامة للدول ومنها على سبيل المثال لا الحصر المخابرات الأمريكية وجاءت تسميتها متضمنة كلمة intelligence وهي «CIA» وهي اختصارات للكلمات :

### .Central Intelligence Agency

فكلما زادت وكثرت كمية المعلومات ازدادت قوة الجهاز في التخابر مما يؤدي إلى تصنيف الأجهزة المخابراتية في قوتها وإمكانيتها على قدر المعلومات والأخبار المحصلة لديهم من جهة غامضة بالنسبة للآخرين، فيقال بأن هذا الجهاز من أقوى أجهزة المخابرات. وهذا يفسر لنا بأن كلمة intelligence وضعت في مكانها المناسب المعبر عن القوة والتميز في تجميع وتحصيل المعلومات وهو المحصلة وليس الذكاء، بمعنى غير المعنى لدى علماء اللغة العربية الذي ترجم بالخطأ وعدم الترجمة إلى

المعنى المناسب للكلمة مما أدى إلى انسياق كل الناس من العرب وفي مقدمتهم علماء النفس والاجتماع ومن بعدهم كل أفراد المجتمع العربى بميادينه المختلفة فى الحياة.

وبهذا المفهوم الخاطئ والذي أدى بدوره دراسة «الفروق الفردية» للتوصل ما هو السبب فى وجود التميز والإبداع بين الأفراد فأعادوه إلى كلمة مترجمة بمعنى مختلف تماما عن المعنى الحقيقى لأصل الكلمة ولذلك انقاد كل الناس وراء كلمة «الذكاء» غير الموجودة فى الحقيقة على الرغم من أن هذه الكلمة لم تذكر فى القرآن الكريم من حيث اللفظ ولا حتى بأى معنى يدل على تواجدتها فى طيات الآيات الكريمة والقرآن الكريم ولا حتى الرسالات التى نزلت من الله وهى «التوراة» و «الإنجيل».

ومن الواضح الآن بأن كل الأفراد يستطيعون الفهم والتحصيل والتذكر المختلفة للموضوعات فى عقولهم بدرجات متساوية، ولكن سوف يتبادر للذهن: ما هو السبب الذى أدى إلى التفاوت فى درجة الفهم للموضوعين والتي عوضت بالتكرار؟

وللإجابة عن هذا السؤال والذي يكمن فى إجابته على السر الغامض أو الغائب لمعرفة معناه الحقيقى بالرغم من أن كل الناس بمن فيهم علماء النفس والاجتماع ومن بعدهم علماء اللغة العربية يرددونه ويستخدمونه

فى السلوك الظاهر للإنسان ولكن برؤيتهم وفكرهم بوجود ذكاء عقلى والذى أدى بهم إلى عدم التعرف على الجوهر والمعنى الحقيقى للكلمة المستخدمة والمتردة فى جميع ميادين الحياة كلفظ يفسر السلوك الظاهرى وليس الباطنى الداخلى فى النفس بجوهرها وعظمتها لوظيفتها فى الإنسان والتي عندما تعرفها على حقيقتها سوف تلغى وتمحو كلمة الذكاء والتي جاءتنا من المخلوق وليس الخالق. ولعلك تتيقن هذا السر فى نفسك ولا يعلمه أحد غير الله ألا وهو كلمة «الميل أو الاستعداد» التى اسميها «الهبه الخاصة» وللتوضيح أكثر بخصوص الموضوعين المختلفين اللذين حصلهما الفرد بدرجة متساوية ولكن عوض أحدهما فى الفهم بالتكرار وهذا يعود إلى الاختلاف فى الميل أو الاستعداد وكلما تعددت الموضوعات المختلفة كلما تعددت الاستعدادات أو الميولات عند الأفراد ومن هذا الميل تظهر الفروق الفردية والتي نالت أكبر قدر من الدراسة والبحث فى كونها من أهم العلوم فى الحياة لأنها تتعلق بطبيعة الإنسان والتي أمدتنا وأفادتنا بأشياء كثيرة فجعلتنا نتعرف على السلوك الظاهرى للأفراد ولكن علقوا فى دراستهم للفروق الفردية على مصطلح الذكاء الذى لا وجود له فأصبحت الدراسة والبحث متعارضة ومختلفة ولم تصل بهم إلى معرفة القدرة الحقيقية والتي تتلخص فى معرفة المعنى الحقيق لكلمة «الميل» وهو بتعريفها الدارج عند كل الناس بكلمة الحب، أى حب الشيء وميل الشخص لتعلمه.

ولعلك من هذا التوضيح للمفهوم اللغوي الذي نفى قولهم بوجود ذكاء بأن تتيقن وبسهولة على بقية المفاهيم التالية.

## ٢- المفهوم الفلسفي:

لقد أشار بيرت إلى أن مصطلح الذكاء intelligence يرجع إلى الكلمة اللاتينية intelligentia والتي ابتكرها الفيلسوف الروماني شيشرون ليصف بها كل فرد متميز ولذلك تناوله الفلاسفة في منهج «التأمل الباطني» أي باختصار شديد دراسة النفس والتي أدت إلى استخدام هذا المنهج في علم النفس.

ولقد أدت هذه التأملات الباطنية الفلسفية بأفلاطون إلى تقسيم النفس إلى ثلاثة مظاهر رئيسية هي ما تعبر عنه «بالعقل والشهوة والغضب» وصور أفلاطون العلاقة بين هذه المكونات الثلاث في أسطورة العربة، التي يشبه فيها النفس البشرية بعربة يجرها جوادان ويقودها سائق وأحد الجوادين عريق الأصل سلس القيادة «الإرادة» أما الآخر منها فرديء الطبع جامح غضوب عصبى «الرغبة أو الشهوة» وسائق العربة هو العقل، فالعقل في نظر أفلاطون هو الذى يقود سلوك الإنسان والمكونان الآخران يزيدانه بالقوة والطاقة لقد اتفق «أرسطو» مع هذا المفهوم الذى أدى إلى التقسيم لقوى النفس التى تعتمد على أهمية الناحية الإدراكية المعرفية فى النشاط العقلى للفرد.

من الواضح أن هذا الطرح اعتمد في الأساس على إدراك الأشياء ومعرفتها ولكي نرد على هذا الطرح بالقول البسيط والمعروف لدى الجميع الآن بأن إدراك الشيء ومعرفته جزءا من المحصلة: فإن الإدراك الأولى ممنوح لكل الناس بوجود العين والأذن وتزداد العملية الإدراكية للأشياء بزيادة المحصلة وهي تأتي للأفراد بالتعليم والخبرات فكلما زادت المحصلة ازدادت الناحية الإدراكية المعرفية.. فأين الذكاء من هذا؟ فكل فرد يتفوق على قدر ما حصل من معلومات في عقله (الناحية الإدراكية المعرفية) وكيف لو أن فردا لم يحصل على علم معين مثل الكيمياء أو الأحياء... إلخ فنقول عليه غبي لأنه لم يدرك هذه المعرفة ولكن هو في الحقيقة يدرك الأشياء الأخرى ويحصل كثيرا في علم آخر وليكن «اللغة»، وظهر لنا بنتائج متفوقة في هذا المجال فنقول عليه «ذكي» على الرغم من أنه صنف من قبل بأنه غبي ولعلك أيها القارئ تلاحظ بأن الفارق بين الفردين لا يعود إلى الذكاء المصطنع والمبتدع من خيال الفلاسفة، ولكن يعود إلى الميول والاستعداد لكل فرد إلى موضوع معين كما عرفته من المناقشة والتحليل السابق.

### ٣- المفهوم البيولوجي؛

جاء هذا المفهوم في أواخر القرن التاسع عشر بسبب التأثر بنظرية النشوء والارتقاء لدارون وهي أهمية التطور على مدى تكيف النوع وأفراده للبيئة التي يعيشون في إطارها.

ولذلك وضع «هوبرت سبنسر» نظريته التي تنص على أن الوظيفة الرئيسية للذكاء تهدف إلى تمكين الكائن الحي من التكيف الصحيح مع بيئته المعقدة دائمة التغيير وقد وافق على هذه النظرية كلا من بيرت وسبيرمان واعتبروا أن سبنسر هو أول من استخدم مصطلح الذكاء في سياق علم النفس مؤكدا أهميته في النواحي البيولوجية ولذلك اعتقد أن التكيف مع البيئة يمكن الوصول إليه عن طريق الذكاء عند الإنسان وعن طريق الغريزة عند الحيوانات الدنيا. لذلك اعتقد «هولستد» بأهمية الفص الجبهي للدماغ في ذكاء الفرد وفي مستوى تكيفه للحياة.

وللرد على هذا المفهوم البيولوجي يكون ردا بسيطا موجزا فإذا فكرت قليلا مع نفسك لوجدت أن كل المخلوقات بما فيها الإنسان تستطيع التكيف مع البيئة التي يعيشون فيها مع اختلاف ظروفها لسبب بسيط هو أن الله خلقهم بأدوات وتركيبات في أجسامهم وليس بالذكاء العقلي. فإذا خلق الله الإنسان في الأرض على سبيل المثال جعلهم جميعا أن يتكيفون مع هذه البيئة ولا يستثنى فردا من هذا الخلق فيستطيع الطعام والشراب والتناسل والتكاثر والتعلم والدراسة والتفكير والتعقل بمخه فيما يفيد وما يضره وعلى النقيض من ذلك إذا وضعت هذا الإنسان في البحر مثلاً هل يستطيع أن يعيش في البحر بذكائه؟ بالطبع لا. ولكن تستطيع الأسماك والكائنات البحرية أن تعيش في هذه البيئة التي خلقوا فيها لوجود أدوات وتركيبات في أجسامهم تؤهلهم للعيش في هذه البيئات المختلفة الظروف والأمثلة

كثيرة وعديدة والتي تظهر قمة التكيف لجميع المخلوقات والكائنات الحية بما فيهم الإنسان.

وللتنوع الكبير وغير المحدود فى المخلوقات والبيئات فهى لا تعد ولا تحصى، فسوف اذكر لكم ما يحضرنا من أمثلة للتوضيح بقدره الله على وضع القدرة فى التراكيب للمخلوقات لتمكنها من التكيف مع البيئة المتعددة الظروف، مثل الحرباء التى خلقت لتعيش فى البيئة المختلفة الألوان فهى بقدرتها تستطيع تغيير لون جسمها طبقا للون البيئة والذى يساعدها على التخفى من الأعداء. والطائر الذى يستطيع الطيران فى السماء والمشى على الأرض ليلتقط رزقه ويعيش ويبيت على الأشجار وهذا كله بالتراكيب للأعضاء المناسبة لهذه المعيشة.

والتمساح والسلحفاة والضفدع باستطاعتها العيش فى البر والماء ومن ثم سميت بالبرمائيات فهى قادرة على العيش والتكيف فى البيئتين المختلفتين تماما.

والقرود كما ذكرت سابقا الذى يعيش فى الغابة التى تعيش فيها أقوى الحيوانات شراسة مثل الأسد والنمر وغيرها، وبالمرونة الفائقة لجسم القرود بمقدوره الهروب من هذه الحيوانات بالسرعة الكبيرة بتسلقه على الأشجار وليبعد عن خطر هذه الحيوانات.

وكما ذكرت فى الجزء العلمى أفراد مملكة النحل والقصص والحكايات بين كل الناس عن مدى قدرة هذه الحشرات على التعاون وقيام أفراد

معينة لوظائف معينة لقضاء حاجاتهم للمعيشة والتكيف بدرجة مثالية في بيئتهم بالغة الصعوبة في كون صغر حجمها وكونها مخلوقا بسيطا فيقوم بأعمال بدرجة متقنة يعجز الإنسان نفسه عن أدائها بنفس الكيفية والدقة. وايضا الكائنات الدقيقة والمتناهية الصغر وغير المرئية بالعين المجردة وأمثلتها عديدة، البكتيريا والفيروسات والطفيليات (الديدان المتطفلة) كالبلهارسيا والإسكارس وغيرها، فكل هذه الكائنات تعيش وتتكيف مع بيئات مختلفة الظروف وبمقدورها التغذية والتنفس والحركة والتكاثر بأعداد رهيبية ولكي تحافظ على تواجدها في الحياة وعدم انقراضها. وأود أن أشير إلى حقيقة علمية من هذا كله بأن الإنسان يأكل ليعيش ولكن الحيوانات والمخلوقات الدقيقة تأكل لتتكاثر لكي تحافظ على وجود نوعها في الحياة وعدم انقراضها وهذه هي قدرة الخالق لهذه المخلوقات ولكي يوجد «التوازن البيئي البيولوجي» في الحياة.

ولعلك أيها القارئ من هذا التوضيح المختصر جدا للمفهوم البيولوجي وهو قدرة المخلوقات الحية على التكيف والمعيشة في الحياة للبقاء والاستمرار بالقدرة التركيبية والمكونات العامة التي منحها الخالق «الله» لها وليس بالمعتقد الخاطئ «الذكاء».

والأهم هو الإنسان ولتوضيح كيفية التكيف والمعيشة في البيئات المختلفة والمعقدة الظروف ومدى قدرة الإنسان والأفراد على التكيف لتسهيل المعيشة في البيئات المتعددة الطباع والثقافات والأفكار والديانات

والمعتقدات والسلوكيات فإن كل فرد أو إنسان هدفه أن يعيش في أحسن صورة في مجتمعه ليحقق ذاته وبالتكيف البيولوجي فبمقدور أى إنسان بالتركيبات للأعضاء والأجهزة الأكل والشرب والسمع والنظر..... إلخ والتعلم والتحصيل فى المخ (التفكر، التعقل، التذكر) وهذا متاح لكل إنسان من البشرية.

ف نجد أن كل الناس بمجتمعاتهم المختلفة وبيئاتهم المتغيرة بمقدورهم التكيف بالعطاءات الممنوحة لهم وأنا أسميها القدرات العامة (الهبات العامة) فهي ممنوحة للجميع والتي تعطيمهم (القدرات العامة المكتسبة). ولكن فى بعض الأحيان توجد فروق فردية لأداء التكيف بصورة منقوصة غير كامله وتعود إلى الاختلاف فى اللغات التى تعبر بها للتفاهم مع الآخرين ودون ذلك بمقدرة أى إنسان أن يتنقل ويتحرك من أقرب مكان إلى أبعد مكان فى الكرة الأرضية فهو يستطيع فعل كل الأشياء والتكيف على المعيشة.

ولنعرض عليك مثلاً للتوضيح، هب أن فرداً من الأفراد المتحدثين باللغة العربية ذهب إلى بلاد الصين والمتحدثين بلغة صينية مختلفة تماماً عن اللغة العربية، فنجد أن هذا الإنسان (الفرد) يجلس بين الصينيين والمتحدثين بلغتهم المختلفة يسمع ولا يفهم وغير قادر على التكيف الكامل مع هؤلاء الصينيين ولكن عندما يتعلم ويدرس ويحصل بعقله اللغة الصينية فنجد بمقدور هذا الفرد العيش والتكيف الكامل مثلهم فهو

یأكل ویشرب ویدرس ویعمل..... إلخ.. فأین الذكاء؟

ولعلك عزیزى القارئ أن تتیقن الحقیقة من تفسیر وتوضیح المفهوم البیولوجی وهو قدرة الإنسان على التکییف مع البیئة الذى یعود بالقدرات العامة التى وهبها الله للناس أجمعین ودون استثناء أى فرد ولم یکن للذكاء المفهوم الخاطئ عند بعض علماء البیولوجی ومن بعدهم علماء النفس والاجتماع.

#### ٤- المفهوم الفسیولوجی؛

استند هذا المفهوم على التكوين الفسیولوجی التشریحی للجهاز العصبی المركزى بوجه عام، وللقشرة المخیة بوجه خاص، فمن العلماء الذین قاموا بإجراء بحوث فى هذا الموضوع «هیجلبنجر» و«شرنجتون» و«بولتون» بعد إجراء بحث على ضعاف العقول والعاذین كما ذكرت فى الجزء العلمى بأنها تعارضت وقوبلت بالنقد والنفى لقولهم ولقد أثرت هذه البحوث الفسیولوجیة فى الكثير من علماء النفس فى وجود علاقة متبادلة دقیقة بین الوظائف الخاصة بالعقل والوظائف الخاصة بالجسم، فقال بعضهم أن كل نشاط عقلی یصحبه نشاط فسیولوجی یرتبط به، أو سبب فسیولوجی له، ویمیل هؤلاء إلى الأخذ بتعریف فسیولوجی للذكاء، فیعرفه «سادیفورد» على أنه وظيفة الجهاز العصبی المركزى. وقد انتقد بعض علماء النفس هذه النظریة، لأن النشاط العقلی لیس مرتبطا بالعمليات الفسیولوجیة فحسب بل أنه نفس هذه العمليات لقد

عرض بعض العلماء وجهات نظر أخرى ترى وجود موازاة عامة بين العمليات العقلية والعمليات الفسيولوجية ولكنهم لا يقولون بأسبقية أحد النوعين مدللين على ذلك بأن العقل لا يعتمد على كل شيء في الجسم، وإن العمليات العقلية رغم ما لها من قيمة ذاتية لا تنشأ إلا على النشاط الفسيولوجي، وأنها ليست السبب في وجود هذا النشاط الفسيولوجي.

وقد قوبلت وجهات نظر هؤلاء بانتقاد شديد، ذلك أن العمليات العقلية إذا كانت هي نفسها العمليات المخية فلن تستطيع أن تشعر بأى عملية من عملياتنا العقلية دون أن تشعر بأى عملية فسيولوجية في المخ، في حين أنه من المعروف في خبرتنا الواقعية غالباً ما نشعر بأفكارنا ورغباتنا دون أن نعرف أقل شيء مما يحدث في المخ، كذلك فإنه من المحال أن نصف الذكاء بأن نشير إلى الفسيولوجيا ذلك أن ما يقابله من الناحية الفسيولوجية لا يزال أمراً مجهولاً كما وضحت في الجزء العلمي سابقاً.

من الملاحظ لنا الآن أن هذا المفهوم الفسيولوجي لم يتفق عليه أحد واعتبروه مجهولاً ومحالاً إلى الآن، وأقول لهم بأن هذا الأمر «السبب الفسيولوجي للذكاء» سوف يظل وإلى الأبد مجهولاً لأنهم يقرنونه بشيء لا وجود له وهو الذكاء. وهذا الاختلاف بين كل العلماء البيولوجيين والنفسيين وتوصلهم إلى هذه النتيجة المحالة والمجهولة خير دليل على عدم وجود ذكاء عقلي، وبهذا المفهوم ساعدوني على طرح فكرتي هذه

«أكذوبة الذكاء» لكن أريد أن أوضح وأؤكد بالرد والتفسير لبعض الأبحاث التي أجريت لهذا المفهوم وهي التي قام بها «بولتون» العالم البيولوجي بأن خلايا القشرة المخية تنقص في عددها وفي انقسامها وتشعبها وتناسقها عند ضعاف العقول عنه عند العاديين، فمن الواضح أن العالم «بولتون» لم يدرك قاعدة بيولوجية سائدة وهي تشيع بين الناس ألا وهي «العضو المستعمل يكبر وينمو والعضو غير المستعمل يصغر ويضمحل».

ومما زاد الأمر تعقيدا بأن يتفق مع «بولتون» العالم شرنجتون الذي قال إن التكوين التشريحي لضعاف العقول لا يبدو فقط في نقصان عدد الخلايا المخية بل يبدو أيضا في ضعف الخلايا الجلدية والعظمية والعضلية وكل النواحي التشريحية الأخرى، ومن ذلك يتضح لنا أن هذه النتيجة تتماشى مع القاعدة البيولوجية السابقة لأن المخ هو العضو الذي لم يستعمل ويؤثر بالتبعية في بقية الأعضاء المرتبطة بوظيفته وهي الجلد والعضلات والعظام.

وأثبت العلم الأحدث بأن بعض العمليات الفسيولوجية تتم في الحبل الشوكي دون المرور بالمخ كما ذكرت في الجزء العلمي الذي وضع وفسر المفهوم الفسيولوجي بعدم ارتباطه بالذكاء الذي افترضه علماء الفسيولوجي وعلماء النفس بوجوده في الإنسان.

## الفصل الثانى

### المفاهيم النفسية

لقد جاعنا أصحاب هذا الاتجاه لما رأوه من الأبحاث البيولوجية والفسولوجية التى لم تستطع التوصل إلى فهم حقيقى وتعريف ثابت للذكاء العقلى فاتفق أصحاب هذا الاتجاه على أن الذكاء خاصية عقلية تختلف فى طبيعتها عن خصائص الجهاز العصبى التى يمكن إخضاعها لمناهج بيولوجية (فسولوجية) ويميلون إلى الأخذ بمنهج التحليل الذى يعتمد على المعالجة الإحصائية (القياسات) أو الاختبارات لمعاملات الارتباط والسبب الرئيسى فى استعمال هذا المنهج فى دراسة نشاط العقل البشرى هو طبيعة النشاط-المعقد ومحاولة تحديد العوامل الأساسية التى يرجع إليها.

ولذلك قد حاول الكثير من علماء علم النفس تعريف الذكاء عن طريق الربط بينه وبين ميدان أو أكثر من ميادين النشاط الإنسانى واقتناعهم بفكرة وجود الذكاء فكانت النتيجة لذلك بأن تعددت التعريفات وتنوعت باختلاف الميدان الذى يركز عليه علم النفس.

والواقع أن كل من حاول تعريف الذكاء من علماء النفس عرفه عن طريق مظاهره الخارجية وليس عن العوامل الداخلية، فتعددت التعريفات المختلفة التى اتفق معها البعض وعارضها البعض الآخر وهذا لأن

التعريفات جاءت من وجهات نظر مختلفة متأثرة بالدراسات والأبحاث السابقة التي كانت نتائجها غير مؤدية إلى حقيقة ثابتة لوجود الذكاء. ولذلك نستطيع أن نلمس الفرق الجوهرى بين وجهة النظر البيولوجية والفسيوولوجية من ناحية وبين وجهة النظر السيكولوجية (النفسية) من ناحية أخرى، فبينما تعنى وجهتا النظر الأوليين بالتفسير تعنى الأخرى بالوصف وبينما لا تحاول وجهتا النظر الأوليان أن تعرف الذكاء لأن العوامل العضوية ما هى إلا عوامل مؤثرة فى السلوك بوجه عام وليس بالذكاء نفسه، ونجد أن الاتجاه السيكولوجى يعنى بدراسة السلوك ومظاهره المختلفة ولذلك ظهرت التعريفات العديدة للذكاء التى بنيت على أساس العلاقة الوظيفية بين الذكاء وميادين السلوك المختلفة مثل القدرة على التعلم والقدرة على التكيف والقدرة على تكوين علاقات شخصية واجتماعية سليمة، وغيرها من العمليات العقلية المختلفة ومن هذا المنهج لعلماء النفس فى دراسة الذكاء الذى قادهم إلى تعريفات ودراسات لعلها تربط بين الذكاء وهذه الميادين المختلفة من السلوك.

فإننى سوف أتناول بعض السلوكيات الظاهرة لإثباتها بالمنطق الذى يتماشى مع العقل بأنه لا وجود للذكاء العقلى.

### ١- التعلم:

لقد جاء تعريف «وودرو» للذكاء بأنه القدرة على اكتساب الخبرة وتعريف «كلفين» للذكاء بأنه القدرة على التعلم وتعريف «جوادف»

للذكاء بأنه القدرة على الإفادة من الخبرة، ويعرفه «ستيفان سزمان» بأنه مستوى الخبرة العقلية التي يصل إليها الفرد نتيجة لتدريب العقل مقترنة بالقدرة على استخدام الخبرة عند مواجهة مواقف ومشاكل جديدة ويتفق يوسف مراد مع التعريف الأخير للذكاء حيث يعرفه بأنه حدة الفهم الفطرية التي تهىء الإنسان لاكتساب أكبر قدر من المعارف في أقصر مدة ممكنة، وتستخدم هذه المعارف على أحسن وجه لحل المشاكل الجديدة.

ويغلب على تعريفات الذكاء بأنه القدرة على التعلم، حيث إنه قد كشفت بعض الدراسات أن درجة التعلم لا ترتبط ببعضها ارتباطاً مرتفعاً، إذا ما اختلفت الموضوعات المتعلمة، فما يفيد عدم وجود قدرة موحدة للتعلم، وهي المراد بها «الذكاء» ولقد ذهبوا لإيجاد تفسير آخر وحاول البعض تفسير القدرة على التعلم بأنها سرعة التعلم إلا أن البحوث أثبتت أيضاً أنه لا يوجد عامل واحد تسفر عنه عمليات التحليل العملي، يمكن أن تفسره بسرعة التعلم.

فهذه الاختلافات الكبيرة وبكل الأبحاث التي أثبتت أنه لا توجد قدرة موحدة «الذكاء» على التعلم وأيضاً لا يوجد عامل واحد «الذكاء» يفسر سرعة التعلم. فإن هذا التفاوت والاختلاف بين الأفراد المتعلمين لموضوعات مختلفة مثل الرياضيات والكيمياء والأحياء واللغات..... إلخ ولا يوجد عامل واحد للسرعة في الفهم

وهذا لأن جميع الأفراد يستطيعون التعلم عن طريق «المحصلة» كما ذكرت سابقا ولهذا المحصلة أدوات للتحصيل في المخ ومنها على سبيل المثال البصر لتقرأ والسمع لتسمع واليد لتكتب وتجرى بها تجارب وهذه الأدوات تساعد كل فرد من أفراد المجتمع لحفظ كل المعلومات المحصلة في المخ ولكل فرد له وسيلته أو أدواته المفضلة لتساعده على التحصيل والحفظ أو الاحتفاظ بهذه المعلومات في مخه أى فى «عقله» وهذه العملية فى استطاعة كل الناس، ولكن عملية الحفظ تتفاوت عند الأفراد فى مدى سرعتها أو بطئها ولكن يمكن تعويضها «بالتكرار» كما ذكرت سابقا أو باستخدام أكثر من أداة من أدوات التحصيل وبهذه الكيفية يصل كل الأفراد لدرجة التساوى فى التحصيل «المحصلة».

وخير مثال واضح لنا جميعا هو تلاميذ الثانوية العامة بحصولهم على درجات متفاوتة والتي تعود إلى درجات المحصلة لكل فرد ولكن عندما تجد أن الآلاف من التلاميذ استطاعوا الوصول إلى الدرجات النهائية أو ما يقرب منها ( ٩٩ % - ١٠٠ %) فى المواد المختلفة الميول للأفراد تعود إلى قمة التحصيل أو أعلى درجات ( المحصلة ) وليس الذكاء المعتقد عند كافة الناس والذين تأثروا بالنظريات السابقة لعلماء النفس والاجتماع.

ولعلك تتيقن من هذا التوضيح والتفسير بأن التفوق والحصول على الدرجات العالية فى جميع المواد الدراسية المختلفة الاتجاهات والمختلفة

الميول في تقبلها من التلاميذ، هذا يعود إلى قمة المحصلة لا للذكاء المعتقد بالخطأ بالرغم من أن اختلاف الميول والتقبل للمواد المختلفة في نوعيتها لا يزال موجودا بين التلاميذ وهو السبب الحقيقي لتواجد «الفروق الفردية» بين التلاميذ.

## ٢- التفكير المجرد:

ولقد جاء آخرون بتعريفات مختلفة تفيد بأن الذكاء هو القدرة على «التفكير المجرد» وهو القدرة على استعمال المفاهيم للرموز المختلفة للتصرف في المواقف المختلفة خاصة تلك المواقف التي تتضمن مشاكل يتطلب حلها باستعمال الرموز اللغوية مثل (اللغة) أو الرموز العددية (مثل الرياضيات) ومن أمثلة هذا النوع من التعريفات في مضمونها بأن الذكاء هو القدرة على إدراك العلاقات كما جاء «لاركس نايت» متفق في المضمون للتعريفات الثلاثة السابقة وعرف الذكاء بأنه القدرة على اكتشاف الصفات الملائمة للأشياء وعلاقتها ببعضها البعض وهو القدرة على إيجاد أفكار أخرى مناسبة إذا ما عرض لنا غرض أو ظهرت أمامنا مشكلة ولخص «تيرمان» فعرف الذكاء بأنه القدرة على التفكير المجرد. ولقد قام بعض العلماء بتوجيه النقد لهذه المفاهيم للذكاء بأنه لا يقتصر على ما يطلق عليه أحيانا التفكير المجرد، فالذكاء لا يظهر إلا في حل المشاكل العقلية الصعبة فقط، بل وفي حل المشاكل العملية التي تواجهها أيضا.

وللرد على هؤلاء جميعا وهو بأن التفكير نشاط عقلى ويوجد عند كل الناس بدون استثناء لأحد ولكن الفرد يوجه تفكيره لموضوعات مختلفة وبقدرة هذا التفكير يتعامل مع كل الفروع المختلفة فى الدراسة ولم يقتصر على اللغة والرياضيات فقط بل يستخدم التفكير فى كل المواد الأخرى مثل الكيمياء والفيزياء والأحياء.... إلخ، وبهذا التفكير يستطيع التفوق فى كل هذه المواد المختلفة وهذا يرجع إلى قدرة التحصيل (المحصلة) وليس للذكاء كما يشاع ولكن نجد بأن الفرد ( التلميذ ) الذى يتفوق بالتفكير المسموح والمتاح لكل الأفراد، ولكن لا يزال يميل إلى التفكير والتحصيل فى أحد المواد دون غيرها.

### ٣- القدرة على التوافق الشخصى والاجتماعى؛

لقد ذهب بعض العلماء بقولهم وتعريفاتهم التى تفيد بأن التوافق الشخصى والاجتماعى يعود إلى الذكاء، فالفرد قد تواجهه مشكلة معينة يحاول أن يحلها وذلك بالتكيف فى المشكلة بتعديل البيئة أو بتعديل البيئة والفرد معا والمواقف التى يمر بها الفرد تصبح مواقف مشكلة إذا لم تمر بالفرد فى خبراته السابقة الإمكانيات والخبرات اللازمة لحلها، وهذا يعنى أن الموقف المشكل موقف جديد بالنسبة للفرد نفسه. فالذكاء يعتبر قدرة عقلية عامة تساعد الفرد على مجابهة المواقف الجديدة وحل المشاكل، إنه القدرة على تغيير الفرد تنظيم أنماط سلوكية حتى يتمكن من مجابهة المواقف الجديدة، وبذلك يكون الشخص الذكى هو الشخص القادر على

أن ينوع من سلوكه ويغيره كلما تغيرت الظروف، بينما يكون الشخص الغبى هو الشخص الذى لا يمكنه تعديل سلوكه إذا ما تغيرت الظروف وعلى سبيل المثال تعريف « بنتر » للذكاء بأنه قدرة الفرد على التكيف بنجاح بالنسبة للعلاقات الجديدة فى الحياة، وتعريف « شترن » بأنه القدرة على التكيف العقلى لمشاكل الحياة وظروفها الجديدة. ولقد جاء آخرون بوجهات نظر أخرى والتي تعارض هذه التعريفات السابقة لأنها جعلت الشخص الذكى فى أى مجال مجتمعى وشخصى باستطاعته حل أى مشكلة تواجهه حتى لو كانت جديدة بالنسبة له.

ولذلك لجأ كثير من علماء النفس إلى تعريف الذكاء من خلال أنه مجموعة متعددة من العمليات أو المشكلات التى يظهر فيها السلوك المتصف بالذكاء وأنه ليس خاصية واحدة ضيقة أو قدرة يمكن قياسها بنوع واحد من الاختبارات بل إنه تنظيم معقد للقدرات العقلية ومن هؤلاء العلماء « بينيه » و « ثورنديك » و « ووكلر » و « ثيرستون » و « سبيرمان » فلقد جاء كل منهم بتعريف للذكاء فيقول « بينيه » أن الذكاء يتألف من قدرات أربع هى (الفهم و التكيف والنقد والابتكار)، أما « ثيرستون » فيقول إن الذكاء هو القدرة على إدراك العلاقات والمتعلقات وهو قدرة فطرية وأما « ووكلر » عرف الذكاء بأنه القدرة على التكيف مع البيئة وخاصة الاجتماعية.

وجاء «ثورنديك» بقوله إن الذكاء هو القدرة على التفكير في جميع المجالات مما قاده هذا المفهوم إلى تقسيم الذكاء إلى ثلاث ذكاءات وهي الذكاء المجرد والذكاء الاجتماعي والذكاء الميكانيكي. ولقد اعتقد بعض علماء النفس بالدراسة والبحث أن الذكاء يرثه الفرد عن أبويه وأجداده ولذلك فإن خاصية الذكاء تلازم الشخص طوال حياته، وتعتبر من الصفات الثابتة نسبيا في شخصية الفرد ومما أدى بهم إلى دراسة « نمو الذكاء» ولكن في النهاية لهذه الدراسة لم يتفوقوا على نمو الذكاء وتوقفه عند سن معين فاعتبروه من ١٥ - ٢٠ سنة وجاء آخرون من علماء النفس يعارضون وجهة النظر هذه وذلك لأن نسبة الذكاء للفرد تظل ثابتة في مختلف سنين حياته.

وللرد على كل وجهات النظر السابقة وهو بأن كل التعريفات تعارضت معا ولم يتفق أى تعريف مع الآخر، فعندما يقرأ أى قارئ للتعريفات الأولى فهو يرفضها حتى لو كان القارئ البسيط غير الدارس أو المتعلم والتي ترجع ذكاء الشخص لتجعله يحل جميع مشاكل الحياة وحتى الجديدة منها وأن الشخص الغبي لم يستطع حل أى مشكلة تواجهه فى الحياة فبوجهه النظر هذه والتي لا يقبلها العقل والمنطق ولا واقعنا فى أن غالبية الناس يستطيعون حل مشاكلهم بأنفسهم، حتى لو كانوا غير دارسين أو متعلمين ويكفيهم ما يسمعه ويشاهدوه بعلاقاتهم ببعضهم البعض، فنرى كل فرد فى المجتمع غالبا يستطيع التعامل مع الزملاء والأصحاب

والأصدقاء والأقارب والأسرة وحتى التزاوج لمواجهة حياة وظروف جديدة بتكوين الأسرة، وهكذا.

وأما الرأي الثانى للتعريفات بأن الذكاء متعدد، فقد جاء كل عالم من علماء النفس بتعريف غير الآخر وجميعها متناقضة فمنهم من جعل الذكاء يتألف من أشياء أربع والآخر أعاد الذكاء إلى ثلاثة أنماط وهى **الذكاء المجرد** وناقشته من قبل من وجهة التفكير المجرد وأثبت بعدم وجود ذكاء لأن التفكير للجميع. ومثله **الذكاء الاجتماعى** وهذا يعتمد على سلوك الفرد فى المجتمع وهذا أيضا لا يعود إلى ذكاء عقلي، والدليل على أن غالبية الناس يتعاملون مع بعضهم البعض ويتعايشون بسلوكيات تتماشى مع بيئتهم المجتمعية ويعود التميز بالسلوك الاجتماعى الأمثل إلى القيم والمبادىء والأخلاق الحسنى من تسامح وتواضع مع بقية الأفراد وهذه الصفات لم يكتسبها الفرد بذكائه كما يشاع ولكن من تربيته وتوعيته ومحصلاته وخبراته من الأسرة والمدرسة فى بداية حياته ومن ثم يكتسب ويتعلم خبرات من تعامله فى مجال عمله والتي بدورها تجعله يستطيع أن يقيم أعظم وأعقد علاقة جديدة وهى الزواج من جنس غيره وأقصد الزواج من الجنس الآخر وهى الزوجة التى تمتلك طباعا مختلفة أو متقاربة من طباعه. ولذلك نستطيع القول بأن هذه العلاقات لا تحتاج لأى قدرة خاصة ولكن يستطيع كل الأفراد القيام بهذه العلاقات المختلفة فى الحياة فأين..... الذكاء ؟

وبالرجوع إلى الذكاء الميكانيكي، فهذه المهارة من استخدام الأدوات والآلات الميكانيكية لا يعود إلى ذكاء ولكن يعود للدراسة والخبرة ولكن تفاوتها يعود إلى شيء آخر وهو مدى الميول عند الأفراد لهذه الأعمال. ويقولهم أن الذكاء موجود ويورث من الآباء والأجداد فأتضح بالأبحاث والدراسة ما نشاهده ونسمعه أن هذا الافتراض خاطئ فإذا صح هذا فيكون الذين خلقهم الله أنكياء سوف يلدون أنكياء وهكذا وإذا بالناس الذين خلقهم الله أغبياء سوف يلدون أغبياء وبهذا الافتراض ذهبوا بعيداً عن الحقيقة الإلهية وهي خلق الناس بالتساوي في وجود الهبات العامة وإختلاف الميول الخاصة وذلك لعدم وجود حجة للمخلوق عند الخالق، فنرى ونسمع في واقعنا بأن فرد من الأفراد مجتهد ومتفوق فيحكمون عليه باعتقادهم السائد بأنه ذكي وعندما ينجب ابنه نجده مختلفاً عنه في التفوق والاجتهاد فأصبح عادياً أو وصف بالغباء والأكثر احتمالاً مؤكداً لنا خطأ هذا الاعتقاد وهو أن الأب ينجب ابنه مختلاً عقلياً (مجنون) فأين الذكاء وأين الوراثة؟ من هذا الافتراض الذي لا وجود له وهو الذكاء والغباء، الذي جعل كل الناس ينساقون وراء هذا المصطلح الذي ليس له أي شيء من الحقيقة وبهذا العمل غيبوا الناس عن معرفة الحقيقة أو الشيء الحقيقي الذي هو مسئول عن الفروق الفردية للمجتمع. ولكن جاءت كل هذه النظريات للذكاء لتدعم «حركة الليوجينيا» للتفرقة العنصرية والتي سوف نتحدث عنها لاحقاً.

## الفصل الثالث

### الذكاءات المتعددة

فلقد جاء علماء النفس بهذه النظرية (الذكاءات المتعددة) لما وجدوه من عدم صدق وإثبات بأنه يوجد «ذكاء عام» واحد، ولا يوجد مقياس واحد يدل على وجود ذكاء عقلي ولما وجدوه من تفاوت في القدرات الفردية وتعددتها عند مختلف الأفراد، فجاء العالم النفسى الأمريكى «لويس ثيرستون: وأعلن أن الذكاء ليس عاملاً واحداً بل مجموعة من العوامل المستقلة ذات الأهمية المتساوية وأطلق عليها اسم «القدرات العقلية الأولية» وحددها ثيرستون بعد دراسة وتحليل نتائج ٥٦ مقياساً فوجدتها وحددها بسبع قدرات عقلية أولية وجاء عالم النفس الأمريكى «هوارد غاردنر» بنظريته التى وسعت فى التعريف التقليدى للذكاء فقد لاحظ أن مفاهيم الذكاء كما حددت بالمقاييس العقلية لا يمكن أن تحصر كل الطرق والوسائل والأساليب التى يمكن أن يتفوق فيها البشر على أنفسهم فقرر غاردنر أننا لا نملك ذكاء عاماً كامناً واحداً، لكننا نملك ذكاءات متعددة لكل منها نظام مستقل فى الدماغ.

ولذلك حدد «غاردنر» سبع ذكاءات وعرض شخصية ممثلة لكل واحد فيها ولعلك عزيزى القارئ قبل عرض هذه السبع ذكاءات ادعوك بأن تفكر قليلاً فى معنى كل ذكاء فسوف تجد بأن الذكاءات السبع وحتى

لو أضافوا عليها سبعين ذكاء أو أكثر لوجدت بأنه كلما زادوا وأضافوا نوعية ذكاءات، فهم فى الحقيقة يثبتون ويقرون قولى وينفون قولهم جميعاً بوجود ذكاء عقلى فى الإنسان.

فسوف أعرض لك الذكاءات السبع وأيضاً الذكاء الثامن المضاف حديثاً لغاردنر وكما قلت لو أضافوا أكثر لتوصلوا للحقيقة الإلهية بوجود الهبات الخاصة والمميزة للأفراد وهى لا تعد ولا تحصى.

### الذكاءات الثمانية لغاردنر:

١ - الذكاء اللغوي: يتضمن القابلية للحديث واللغة ويمثلها الشاعر «إليوت».

٢ - الذكاء المنطقى - الرياضى: يتضمن القدرة على التفكير المجرد وحل المسائل المنطقية والرياضية، الفيزيائى «ألبرت أينشتين» مثال جيد عن هذا النوع من الذكاء.

٣ - الذكاء الحيزي: يستخدم لإدراك المعلومات الصورية والمكانية وتصوير مفاهيم العالم بوسائل كالفن مثلاً، الفنان «بابلو بيكاسو».

٤ - الذكاء الموسيقى: القدرة على أداء وتقدير وفهم الموسيقى يمثلها الملحن «إيغور سترافنسكى».

٥ - الذكاء الجسدى - الحركى: القدرة على استخدام جسد الإنسان وأجزاء منه بنشاطات متنوعة كالرقص، الألعاب الرياضية،

التمثيل، الجراحة، السحر، الراقصة ومصممة الرقصات «مارثا غراهام» وهى مثال واضح.

٦ - الذكاء التشخيصي: ويتضمن فهم الآخرين والتعامل معهم على أساس هذا الفهم ويمثله المعالج النفسى «سيجموند فرويد».

٧ - الذكاء الضيمنشخصي: وهو القدرة على فهم الذات ومثاله الأبرز «موهنداس غاندى».

٨ - الذكاء الطبيعى: القدرة على تمييز وتصنيف النباتات، الحيوانات، المعادن، عالم الطبيعة «تشارلز داروين» هو مثال لهذا النوع من الذكاء.

وقال غاردنر يملك كل شخص جانبا محددًا من هذه الذكاءات مع قوة فى نواحي وضعف فى نواحي أخرى ولعلك عزيزى القارئ بأن تلاحظ من هذه النقاط المختلفة فى الاتجاهات والموضوعات والتي أفرزت أشخاصا بعينهم وتميزهم وإبداعهم دون الآخرين فهذا يعود للهبة الخاصة (الميول الخاصة) للأشخاص والذي كان السبب الرئيسى فى تميزهم وليس «الذكاء المعتقد» عند أصحاب النظريات. ولتعدد الموضوعات فى الحياة تعددت القدرات عند الناس فكانت خير دليل على ما أقوله وهو تعدد الهبات الخاصة إلى ما لا نهاية ولا تعد ولا تحصى.

ولقد جاء عالم النفس الأمريكي «روبرت ستيرنبرج» معارضا لهذه النظرية لغاردنر في أن الذكاء يتألف من ثلاث نواحي أساسية (الذكاء التحليلي، الإبداعي، والعملية) وتعتبر هذه المجموعة أجزاء مرتبطة من نظام واحد، وليست ذكاءات منفصلة كما في نظرية غاردنر، وبذلك حدث توافق بين بعض العلماء الذين جاءونا بالنظريات التقليدية حول الذكاء العام، فهم بذلك أعادونا إلى النقطة الأولى وهي الذكاء العام ولذلك ظهرت من جديد بعض النظريات في السنوات الأخيرة، وجود ذكاء أطلق عليه «الذكاء العاطفي» والذي يعتبر مكملا للذكاء المقاس بالحاصل الذكائي (٠، ١٠) عرف العالمان الأمريكيان «بيتر سالوف» «وجون ماير» في عام ١٩٩٠ بأن الذكاء العاطفي: هو القدرة على ملاحظة ووعي وفهم وتعديل والتعبير عن المشاعر والعواطف وقام الكاتب والصحفي الأمريكي «دانييل جولمان» بنشر هذا المفهوم على صعيد شعبي في كتابه «الذكاء العاطفي» الذي صدر عام ١٩٩٥ وقد وسعه ليشمل المقدرة الاجتماعية العامة.

ولعلك عزيزي القارئ من هذا التعارض الشديد والاختلاف المتباين في وجهات النظر التي ذهبت بالناس إلى نقطة بعيدة وهمية وأعدت بالناس مرة أخرى إلى نقطة البداية التي بنيت على كلمة الذكاء الوهمية ومصطلح من صنع المخلوق وإلى الآن وباعترافهم لم يصلوا إلى أي شيء يفيد الناس بالتفاوت في القدرات عند الناس؛ بل غيبوا معظم الناس

للوصول ومعرفة الحقيقة الغائبة وهي الهبة الخاصة أى الميول الخاصة لكل إنسان فى الحياة.

وباستمرار هذا المفهوم القديم والذى لم يتغير منذ ستين عاما تقريبا، قام علماء النفس بدراسة بحوث لإيجاد أى تفسير يعطيهم دليلا حقيقيا على التفاوت الملحوظ بين أفراد أى مجتمع بعد كل الدراسات ووجهات النظر المختلفة والتي لم تؤدى إلى أى اتفاق على ما هو السبب أو الأسباب التي تعود لها «الفروق الفردية» التي لازالت موجودة بين الأفراد ولذلك اتجهوا إلى دراسة كل الظروف والمؤثرات التي تحيط بالأفراد فى المجتمعات المختلفة، ولأن هذه الفروق الفردية تعتبر ظاهرة شائعة بين الناس، فالناس يختلفون فيما بينهم اختلافا كبيرا فى النواحي الجسمية والعقلية والشخصية وهذه الفروق مهمة فى كل مجال من مجالات الحياة، فى العمل وفى الأسرة وفى المجتمع، وكما هى مهمة فى مجال التربية والتعليم.

والواضح الآن بأن هذه الدراسة من أهم الدراسات فى حياة المجتمعات ومن ثم ذهب علماء النفس والباحثون بدراسة هذه الظاهرة والتي تتبع «علم النفس الفارق» ومن وجهة نظرى بأن هذا العلم الراقى والمفيد لكل المجتمعات ولقد أضاف لى الكثير، بالرغم من أن هؤلاء العلماء عرضوا وفسروا أشياء كثيرة تؤدى إلى الفروق الفردية مثل تأثير البيئات الاجتماعية التي يعيش فى سياقها الأفراد على شخصياتهم، مما يترتب على ذلك من نمو فى تلك الفروق.

ولكن لا أتفق معهم بأن من أهم العوامل المسببة للفروق الفردية هو الذكاء، ولكن عندما يقومون بنفس الدراسات بدون هذا المصطلح والذي ناقشته سالفا مدلا بعدم وجوده فى الإنسان، لوجدوا أهمية دراستهم للحياة كاملة بميادينها المختلفة وبهذا المفهوم الجديد (الميول) سوف يقدمون لنا دراسات تفيد جميع مجالات الحياة وخاصة مجال التربية والتعليم.

فبهذا المفهوم الجديد سوف يمحو وينهى على الاختلافات فى وجهات النظر المتباينة والتي لم تصل بهم إلى اتفاق ما هو السبب الرئيسى فى الفروقات الفردية والتي كانت بدورها تجعل كل الناس خاصة التلاميذ وطلاب الجامعات يلهثون وراء تحقيق هذه الصفة والشائعة بالخطأ وهى الذكاء المؤدى للإبداع وتحقيق الذات، بذهابهم إلى كليات القمة، ويتخرجون عاديين غير محققين شيئا حتى ولو أصبحوا معيدين وأساتذة بالكليات يظلون عاديين وغير مبدعين.

### خريجون عاديون؛

وللتوضيح وتفسير ما هو السبب الذى جعل غالبية الخريجين عاديين وغير مبدعين بشرح المثال السابق بالتفصيل، وهو حصول تلاميذ الثانوية العامة على الدرجات النهائية فى معظم المواد الدراسية أو جميعها فأصبحت كل الكليات المختلفة متاحة لهم بسبب تفوقهم وحصولهم على أعلى الدرجات، ومن ثم يذهب معظمهم إلى كليات القمة الطب والهندسة وغيرها طبقا لمجموعهم والتنسيق والعامل الأهم وهو الثقافة الفكرية

للمجتمع اللى تغلغت وزرعت فى نفوس كل الناس من أولياء أمور وتلاميذ ونظرة المجتمع بأكملة فى كون أن هذه الكليات ووضعها أفضل الكليات فى المجتمع لتحقيق الوضع الاجتماعى والكسب المادى (الأموال) وبهذه الثقافة المتخلفة اللى سادت فى المجتمع المصرى خاصة والمجتمع العربى عامة، والذى بدورها انعدم ظهور المواهب والإبداع بالرغم من أن هؤلاء التلاميذ متميزون بقوة التحصيل الدراسى لأى علم فى الحياة، وبهذه الثقافة والمفهوم المتخلف الذى شىء مهم بل والأهم للإبداع والابتكار وهو الميول والتقبل لدراسة شىء معين ومحدد فى نوعيته فى كل هذه المواد الدراسية، وهذا هو الخطأ الأول بتغيير المسار فى أول الطريق بعدم اتجاه التلاميذ وراء ميولهم (قدراتهم) اللى أعطاهها الله لهم وهب أن بعض التلاميذ توجهوا وذهبوا إلى كليات القمة وهم راغبون طبقا للميول النفسى لكلية الطب أو الهندسة فذهب من كان ميوله (هيبته) لمادة الأحياء البيولوجى إلى كلية الطب، وذهب من كان ميوله الحقيقية فى مادة الرياضيات إلى كلية الهندسة فنجدهم أيضا قد ذهبوا إلى الأقسام اللى تجعلهم يكسبون مالا أكثر وهذا هو الخطأ الثانى متأثرا بثقافة المجتمع وهى من يكسب مالا أكثر.

وهب أيضا بأن بعض التلاميذ ذهبوا إلى القسم الذى يجدون فيه ميولهم وتقبلهم للمواد اللى تدرس فيه، فسوف يقابله عوامل أخرى وثقافة فكرية أخرى من أساتذته بالقسم بإجباره على الذهاب إلى شعبة غير مطابقة لميوله

لنوعية المواد التي تدرس بتلك الشعبة فهو في الحقيقة أجبر إما باللوائح والتنسيق الداخلى للقسم لدراسة موضوعات عكس ميولهم وهذا هو الخطأ الثالث.

وهب بأن هؤلاء التلاميذ ذهبوا إلى الكلية والقسم والشعبة طبقا لميولهم وتقبلهم للمواد التي يقومون بدراستها وتخرجوا وأصبحوا معيدين بالكلية فوجد بأن هؤلاء المعيدين يواجهون الغربة والصدمة الأخيرة في حياتهم الدراسية بأن يتوجهوا طبقا للوائح الموجودة والتي تكفى حاجات القسم من نقاط أو موضوعات بحثية طبقا لما يراه الأساتذة ولم يكن بميول المعيد وهذا هو الخطأ الرابع وقبل المعيد مجبرا على نوعية الموضوع لإجراء الأبحاث للماجستير والدكتوراه، فيستطيع المعيد بقدره المحصلة والجد والاجتهاد يحصل على درجة الدكتوراه ويصبح دكتورا جامعا عاديا مثله كأي دكتور وحتى يصل إلى درجة أستاذ في علم من العلوم وبمقولة شائعة وحقيقية وهي (تحصيل حاصل) «وأصبحوا عاديين غير مبدعين» ونلاحظ من هذا المثل الذي فسر لنا بعدم وجود مبدعين أو مبتكرين بسبب ثقافة المجتمع الخاطئة والتي تلهث وراء «الوضع الاجتماعي» «وجمع المال» والتي زرعت في النفوس كلها وخاصة التلاميذ وبكلمة الذكاء الوهمية والمصطنعة والتي لم نجد لها أي أثر في المثل الذي عرضناه وكله كان (تحصيل حاصل) أي بقوة المحصلة، ولكن كان الضرر الكبير من هذا المفهوم لكلمة الذكاء والثقافة المجتمعية التي أدت إلى إغفال الناس

وخاصة التلاميذ عن الشيء الحقيقي ولعدم معرفته للمعنى الكامن والخفى والموجود فى كل فرد أو تلميذ والمؤدى للإبداع وهو الميول أو الاستعداد أو القدرة الخاصة (الهبّة الخاصة) التى وهبها الله لنا جميعاً. وبعد هذا التوضيح بأنه لا يوجد ذكاء عقلى بالمخ وبالأدلة التى قدمتها والتى جاءت بالرد على نظرياتهم وتحليل مفاهيمهم التى كانت مختلفة ومتعارضة ولم تصل بنا إلى أى شيء يفيد فى التميز والفروق الفردية. والأكثر من هذا أن المخ غير مسئول عن الإبداع والابتكار. ولذلك فمن المهم أن نعرض ونتعرف على الفروق الفردية والتى هى الأساس لموضوع الكتاب وماهو السبب الحقيقى فى وجود هذه الفروق الفردية المؤدية للإبداع والابتكار.

## الفصل الرابع الفروق الفردية

إن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق جميعا ونثر عليهم من نعمه وهباته، جاء كل واحد منهم مختلفا عن الآخر لا يشابهه ولا يطابقه، وقد أكد الله سبحانه هذا الاختلاف ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾. وهذا التفضيل قد يكون بالجسم أو بالعلم أو بطريقة التفكير أو بالأمر المادية. قال الله حكاية عن طالوت: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٤٧].

لذلك حرص الإسلام على مخاطبة الناس على قدر عقولهم وعلى مقدار ما يستوعبون ويفهمون؛ فورد في صحيح الإمام مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة». وورد عن على رضى الله عنه: «حدثوا الناس بما يعقلون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟». ومعنى هذا الكلام كله أن الإسلام أقر بالفروق الفردية بين الأشخاص والأفراد، أو بمعنى آخر أقر مبدأ الاهتمامات المختلفة، فما أهتم به أنا ليس بالضرورة أن تهتم به أنت، وما يهتم به ولدى هو غير الذى أهتم به أنا.. وهكذا.

وفي العملية التعليمية يلاحظ أن تلاميذ الفصل الواحد رغم تقاربهم في السن، يختلف بعضهم عن البعض الآخر في كثير من الصفات الجسمية كالطول والحجم، واعتدال القامة، وهذه الاختلافات تبدو واضحة، وهي بالضرورة تدفع المعلم على اتخاذ موقف معين بإزائها، فقد يعيد تنظيم مقاعد التلاميذ، بحيث يجلس في الصفوف الأولى قصار القامة وضعاف البصر، بينما يجلس في الصفوف الأخيرة طوال القامة حتى لا يحجب السبورة طويل القامة عن غيره من التلاميذ وقد ينصح بعض التلاميذ باستخدام نظارة طبية، أو يقوم بتحويل أحدهم إلى الصحة المدرسية ليعالج من مرض طارئ أو ألم مفاجئ يشكو منه.

فالتلاميذ في الفصل الدراسي الواحد ليسوا متجانسين ولا متساوين فيما يملكونه من صفات وخصائص، رغم أنهم متقاربون في أعمارهم الزمنية، وهذه الفروق أمر طبيعي بين الأفراد، وظاهرة عامة بين جميع الكائنات الحية فلا يوجد تطابق تام بين فردين حتى ولو كانا توأمين.

إذن.. فالفروق الفردية ظاهرة عامة في جميع الكائنات، وهي سنة من سنن الله في خلقه، فأفراد النوع الواحد يختلفون فيما بينهم، فلا يوجد فردان متشابهان في استجابة كل منهما لموقف واحد، وهذا الاختلاف والتمايز بين الأفراد أعطى للحياة معنى، وجعل للفروق الفردية أهمية في تحديد وظائف الأفراد، وهذا يعني أنه لو تساوى جميع الأفراد في

أى صفة - على سبيل المثال- فلن يصبح هناك صفة تميز فردا عن آخر، وبذلك لا يصلح جميع الأفراد إلا لمهنة واحدة.

وتعد الفروق الفردية ركيزة أساسية فى تحديد المستويات العقلية والأدائية الراهنة والمستقبلية للأفراد، ولذلك فقد أصبحت الاختبارات العقلية وسيلة مهمة تهدف إلى دراسة احتمالات النجاح أو الفشل العقلى فى فترة زمنية لاحقة.

أما عن الفروق الفردية فى الشخصية، فنجد أن كل إنسان متميز بذاته، ولا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا اختلف عن الآخرين. وقد اقترح البعض فى كتاباتهم عن القدرات العقلية تعريفا للشخصية فى إطار الفروق الفردية، حيث وصفوا الشخصية بأنها «البنية الكلية الفريدة للسمات التى تميز الشخص عن غيره من الأفراد» وتعتمد مقاييس الشخصية على ظاهرة الفروق الفردية فى الكشف عن العوامل الرئيسة التى تحدد نجاح الأفراد، حيث إن النجاح يمتد فى أبعاده ليشمل كل مكونات الشخصية، فى تفرداها من فرد إلى آخر.

ومفهوم الفروق الفردية وأهمية اكتشافها فى العملية التعليمية: يعرف البعض الفروق الفردية بأنه (الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعى فى الصفات المختلفة).

كما أنها (تلك الصفات التى يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد سواء كانت تلك الصفة جسمية أم فى سلوكه الاجتماعى).

ولعل أشهر هذه الفروق تبدو فى الصفات الجسمية كالتطول والوزن ونغمة الصوت وهىئة الجسم وهذه الفروق الجسمية تطفو على السطح فنشاهدها وهناك أيضا فروق كثيرة فى النواحي الإدراكية والانفعالية ولا يستطيع إنسان واحد مهما أوتى أن يستغنى عن غيره من الأفراد، إنهم يتعاونون فى بناء حياة إنسانية سليمة فردية اجتماعية فإن إهمال ما بين الأفراد من الفروق له أثره السيئ بالفرد نفسه أو بالمجتمع الذى يعيش فيه وتتجلى هذه الأهمية بما يلى:

### أهمية الفروق الفردية:

- ١ - أهمية التنشئة والتربية: فرعاية الفروق الفردية من أسس الصحة النفسية والتربية السليمة التى تقوم على الاعتراف بالفردية وأهمية كشفها وحسن استغلالها وتوجيهها إلى أقصى الحدود الممكنة لتكامل الحياة ونجاحها، فالتربية السليمة تعتبر كل فرد غاية ووسيلة فى حد ذاته ويجب أن تستغل مواهبه لتحقيق مبدأ التكامل والتضامن.
- ٢ - أهميتها فى الإعداد المهني والوظيفي للحياة: إن الفرد يحمل استعداد النوع من الأعمال دون غيرها والحياة تتطلب أنواعا مختلفة من العمل والكفاءات يتم بعضها بعضا لتكون مجتمعا متضامنا. وهذا يقتضى كشف تلك الفروق بين الأفراد وإعداد الظروف والعوامل المساعدة على نموه فالفروق الفطرية والمكتسبة هى إمكانيات هائلة للإعداد المهني والتطور فى جميع الأعمال وبذلك يوضع الفرد المناسب فى العمل المناسب له.

٣ - أهمية خلقية: إذ أن معرفة الفروق بين الأفراد تساعد على فهم الآخرين وإلقاء الضوء على كثير من تصرفاتهم فلا يجوز للإنسان أن يطلب من كل إنسان أن يعامله نفس المعاملة فلكل فرد أسلوبه الخاص في التعبير الانفعالي وأداء السلوك أهمية ذاتية، فمعرفة الفروق الفردية تساعد الفرد على تفهم نفسه واستغلال مواهبه ومعرفة إمكاناته ولعل الإنسان ولا سيما في مراحل الرشد والنضج، إذا كان متقفاً يستطيع أن يفهم كثيراً من إمكانياته وأن يسعى لاستغلالها بطريقة إيجابية يضمن بها النجاح. وترجع أسباب الفروق الفردية وتفاعلاتها إلى عاملين أساسيين هما:

( أ ) عامل الوراثة والاستعداد الفطري: ويشمل الجسم وأجهزته وحواسه وأعصابه وغدده وهذا عموماً ينقل صفاته الأساسية من الأصل إلى النسل ومن الآباء إلى الأبناء حسب قوانين علم الوراثة في أعضاء الجسم ووظائفها.

' (ب) عامل البيئة الاجتماعية: ويشمل المنزل والأسرة والمدرسة والأصدقاء والمؤسسات التربوية والاجتماعية والإعلامية والمهنية والعملية. هذه العوامل تفاعل، بمعنى آخر أن أحدهما يؤثر في الآخر ويتأثر فمثلاً الاستعداد للكلام هو وراثي فطري ولكن لا بد من تكلم الإنسان من بيئة إنسانية للتكلم، فلو نشأ طفل بين حيوانات لشب عاجزاً عن الكلام الإنساني بل هي أصوات حيوانية بدائية وإذا عاش الإنسان في بيئة إنسانية يتكلم نوعية اللغة الخاصة.

ولقد قدم علماء النفس والاجتماع فى علم (الفروق الفردية) موضوعات ودراسات عالية الأهمية والدقة فى اظهار هذه الفروق بدراسة السلوك الظاهرى وعلاقته بالنواحي النفسية الباطنية التى كانت لها دور فاعلا ومفيدا فى تقويم الناس عامة والتلاميذ خاصة باكتسابهم بعض القدرات العامة التى ساعدتهم على النجاح والتفوق البارِع ولكن ما زالوا عابدين وغير مبتكرين وهذا بسبب أنهم جعلوا الذكاء العامل الرئيسى للتفاوت فى الفروق الفردية.

وأرى أنه من المهم أن أوضح لك نشأة معتقد كلمة الذكاء من أين أتت ومن هم الأشخاص الذين اعتقدوا بهذا الذكاء وجعله المحك الرئيسى لحركة تسمى (اليوجينيا) وجاءت وراء قناع لما لها من هدف خفى، فسوف أكشف القناع لإظهار الجوهر الحقيقى «الخفى» لاصطناع مصطلح الذكاء الذى جعلوه العامل القوى للتمييز والتمييز أى «التفرقة العنصرية» وليتضح لك أكثر وتتأكد من أن كلمة الذكاء جاءت لهذه التفرقة والبعد عن الحقيقة فلقد جاء «السير فرانسيس جالتون» عالم الاجتماع الذى صاغ مصطلح «اليوجينيا» فى عام ١٨٨٣ م والتي سميت بحركة اليوجينيا وسوف أوضحها كالتالى.

## الفصل الخامس

### حركة اليوجينيا

حيث رأى السير فرانسيس جالتون Galton أن التطور الصحيح للجنس البشرى قد انحرف، فقد قادت نزعة الخير لدى الأثرياء وإنسانيتهم إلى تشجيع «غير الصالحين» على الإنجاب، الأمر الذي أفسد آلية (الانتخاب الطبيعي) ومن ثم أصبح جنس البشر فى حاجة إلى نوع من (الانتخاب الاصطناعي). كان يعنى علم تحسين الإنسان عن طريق منح السلالات الأكثر صلاحية فرصة أفضل للتكاثر السريع، مقارنة بالسلالات الأقل صلاحية.

#### اليوجينيا والتفرقة العنصرية:

وجاء جالتون بهذا الفكر استبدال الانتخاب الصناعى بالانتخاب الطبيعى، فإن جوهر التطور هو الانتخاب الطبيعى، وجوهر «اليوجينيا» هو أن تستبدل بالانتخاب الطبيعى انتخابا اصطناعيا واعيا بهدف الإسراع من تطوير الصفات المرغوبة (الذكاء) والتخلص من الصفات غير المرغوبة (الغباء). بمعنى أن تشكل الأجيال القادمة على حساب الأجيال المعاصرة. والغرض الخفى (التمييز العنصرى) إذاً هناك من البشر من هم أفضل من غيرهم من يستحقون أن ينجبوا أكثر من الآخرين وأن يمثلوا فى الجيل التالى بنسبة تفوق نسبتهم فى الجيل الحالى، وقد

يتم ذلك بزيادة نسل من يستحقون ( اليوجينيا الإيجابية ) أو بتقليل نسل من لا يستحقون ( اليوجينيا السلبية ) إن التحوير المتعمد لجنس البشر لأهداف اجتماعية هو ما تطمح إليه اليوجينيا. وعندما يتغلب الإنسان على تطوره البيولوجي فسيكون قد وضع الأساس للتغلب على كل شيء آخر. سيصبح الكون أخيراً طوع بنانه أى تحت تصرفه كما قال معتقو فكرة «اليوجينيا».

ولقد ذاعت وانتشرت حركة اليوجينيا فى أوائل القرن العشرين فى أوروبا وأمريكا عندما كان علم الوراثة فى بدايته وانضم إليها وتعاطف معها الكثيرون من كبار المفكرين والعلماء والساسة والفلاسفة ورجال المال، وهم: (برتراند راسل، ج. د برنال، جوليان هكسلي، رونالد فيشر، برناردشو هافولك إليس، د.ه لورانس، الدوز هكسلي، ه.ج ويلز، روزفلت، تشرشل، جون روكفيلر، هتلر، اينشتين).

وخلقت اليوجينيا تيارا عارما قويا يبرزها ويحرسها ويدافع عنها ويشرع لها، واجتاحت أوروبا وأمريكا وأصبحت ديناً ومعتقداً شديداً الاعتقاد كرسست نفسها لتأكيد أن الناس لم يخلقوا سواسية وكانت أوروبا فى القرن الثامن عشر قد سيطرت بالأسلحة وبالمفاوضات وبالقوة وبالخداع على إفريقيا، ثم آسيا ثم أمريكا، وبقيت مسيطرة دهرا طويلا، حتى اعتبرت نفسها سيدة العالم وأن بقية البشر (الفقراء والأغبياء) إنما خلقوا من أجلها أى من أجل الرجل الأبيض الذكى وصحيح البدن، إن

شأن الشعوب شأن الأفراد لم تخلق سواسية بهذا المفهوم الأوروبي والذي أقره (كارل بريجهام) سنة ١٩٢٣م أن السود في أمريكا يشكلون نسبة من ضعاف العقول تزيد نسبتهم في المجتمع، وكان أصحاب النظريات في الذكاء الاجتماعي في القرن التاسع عشر وعلى رأسهم (هوبرت سبنسر) وهو من أوائل معتقّي اليوجينيا وهو من علماء التربية في أوروبا قد أكدوا أن الفقراء الأغبياء بطبيعتهم لا يستحقون العيش وأن الواجب أن لا نشجع بقاءهم أو بقاء نسلهم وعلى عكس «داروين» الذي يقول إن الأصلح هو الذي يترك نسلا أكثر ستجد اليوجينيين ومنهم سبنسر أول من جعل الذكاء الصفة الأصلح للإنسان والتي بها يمكنه التكيف مع البيئة فهم جميعا يرون أن الأصلح هو المتميز في الذكاء والصحة والأخلاق الحميدة ولك أن تلاحظ من توضيح فكرة اليوجينيا التي بنيت على الذكاء الذي يوجد في الإنسان الأوروبي صاحب البشرة البيضاء ولم تكن موجودة في الفقراء أصحاب البشرة غير البيضاء (السوداء).

#### الهدف الخفي للذكاء واليوجينيين:

وجاء علماء النفس والاجتماع والمفكرون الأوروبيون وهم أصحاب البشرة البيضاء والذين وصفوا أنفسهم بالذكاء، وقاموا بتأليف النظريات والمفاهيم المختلفة للذكاء لترسيخ معتقد اليوجينيا وليكون الذكاء مدخلا جديدا لتحويل أنماط الحياة والثقافة لسكان العالم الثالث الفقير والمتخلف كي يتوافق أكثر مع نظرة الغرب المتحرر نحو الجنس والتكاثر ولينظر العالم الثالث

للأوروبيين بأنهم هم المتقدمون والمتطورون بالذكاء الذين وصفوا أنفسهم به ولكي يعتقد العالم الثالث بأن الذكاء هو السبب الحقيقي وراء التميز والإبداع والابتكار فهم بذلك أثروا على ثقافة وفكر العالم الثالث بكلمة ومصطلح وهمي لا وجود له والذي هدم طريقة التعليم وجعله لا فائدة له لأنه لم يثمر عن إبداع ولا تميز بسبب اللهث وراء كلمة وهمية من اصطناع الغرب معظم الناس من العالم الثالث ولكي يتعلموا وكأنهم لم يتعلموا، فأصبحوا متلقون العلم والفكر وناقلوه فقط للأجيال وهذا بسبب أن معظم الناس يتعلمون ويحصلون من مواد دراسية على عكس ميولهم، أو هباتهم الخاصة التي غابت عنهم بسبب المصطلح الوهمي الذي زاد من «التفرقة العنصرية» بين الأفراد والمجتمعات من العالم الثالث، وهذا الفكر الغربي يزداد يوماً بعد يوم، فأنت تلاحظه بدخول عصر المعلومات والاتصالات وهذا ينصب اهتمامه على المهارات النادرة ولذلك يتطلب التخلي عن سياسة تعليم الجماهير والاكتفاء بتعلم الصفوة والمقصود بالصفوة هم الأوروبيون معتقدو اليوجينيا فسيؤول الأمر إلى حكم القلة اليوجينية الذي يسقط الحاجة إلى ترف التعليم للجماهير ويعمل على تشجيع التعليم الخلاق اللازم للتقدم العلمي والتكنولوجي. ولقد قالها اليوجيني «الدوس هكسلي» عام ١٩٣٤ م أن تعليم الجماهير الفقيرة قد خلق طبقة عريضة يمكن أن نسميها طبقة «الأغبياء الجدد» و «اليوجينيا» ضد الأغبياء بل لقد طالب «د.ه لورانس» بإغلاق كل المدارس فوراً:

إن معظم البشر لا يجب أن يتعلموا القراءة والكتابة، لأن أشباح المجاعة والمرض والحرب كما يقول جورج مور ١٨٨٨ هي أمور أخف وطأة مقارنة بالخطر الذي يتوعدنا من تعليم الجماهير الفقيرة ويتوعد النخبة البريطانية بالطبع، ولقد قام اليوجينيون وأصحاب نظريات الذكاء بربط الجينات الوراثية بالصفات السلوكية وبالذكاء فقاموا بوهم معظم الناس بأنهم قادرين على اصطناع إنسان ذكي في معاملهم ليغيبوا غالبية الناس غير المتعلمة أو حتى بعض المتعلمين عن معرفة الحقيقة الإلهية للخالق الناس وجعلهم متساوين في كل شيء.

فإنني أردت نقل هذا الفكر اليوجيني والمحك الرئيسي لها هو المصطلح الوهمي «الذكاء» لكي يتضح لك بأن هذه الفكرة نشأت منذ أواخر القرن الثامن عشر لتنتقل إلى العالم الثالث ويتناقله جيل بعد جيل ليغير وقد غير بالفعل ثقافتنا الفكرية والتي جعلتنا بهذا الموروث الثقافي لكلمة الذكاء الوهمية أن نفرق بيننا بهذا ذكي والآخر غبي وهذا دكتور ومهندس وأساتذة الجامعات أذكاء والمهن والحرف والوظائف الأخرى أقل في وجود الذكاء أو تصل هذه الفئات بوصفهم أغبياء.

وعندما تفكر قليلا ماذا فعلوا هذه الفئات لوصفهم بالأذكاء، فنجدهم عاديين ومحصلين ممتازين للعلوم الغربية وناقلين جيدين وكانهم يدورون في حلقة مفرغة.

ولك أن تلاحظ أن من طالبوا من الأوروبيين بعدم التعلم وغلق المدارس أمام الفقراء والجماهير من العالم الثالث. نجحوا وبطريقة شيطانية وهذا لأن التعليم فى العالم العربى خاصة والعالم الثالث عامة لم يثمر عن أى مبدع ولا مبتكر وأصبح التعليم مضيعة للوقت وصرف الأموال دون أدنى فائدة، وهذا التخلف بسبب الثقافة الفكرية الخاطئة والتي بنيت على أفكار لأشخاص يعتبروننا فقراء وأغبياء ولا نستحق المعيشة.

ولك أن تلاحظ بأن طريقتهم فى التعليم تتم طبقا للميول وهذا عكس مجتمعات العالم الثالث وأيضا تجد أن ثقافتهم الفكرية وهى عدم التفرقة بين الفئات فى المجتمع وهذا عكس ثقافتنا الفكرية التى تفرق بين الفئات فى المجتمع.

وعندما نفكر قليلا ونعود بالذاكرة الى الوقت والزمن الذى جاء لنا بحركة (اليوجينيا) منذ أكثر من قرن ويعانى الجنس الأسود من هذه (التفرقة العنصرية) ولكن سبحانه الله تدور الدوائر ويظهر لنا خالق هذا الكون بأننا متساوون وأن الله هو القادر على عمل التوازن البيولوجى بين جميع الكائنات الحية بمن فيها الإنسان الأسود والأبيض.

فجاء لنا الرد القوى والحجة والآية الكونية لنلاحظها ونشاهدها بأعيننا لنتيقن من خطأ الذين اعتنقوا اليوجينيا للتفرقة العنصرية، فجاءت لنا أقوى آية وظاهره لندركها إلا وهى (الأسود يسود) عكس ما زعم به أصحاب البشرة البيضاء والذين وصفوا أنفسهم بالذكاء وبأن السود أغبياء وسوف أوضح لك عزيزى القارئ هذه الظاهرة.

## الأسود يمسود

لقد رأيت أن أعرض لك هذه الظاهرة لتأخذها عبرة بأن كل على درجة متساوية عند الله ولا يوجد ذكاء أو غباء ولا أبيض ولا أسود. ولكن تتم المفاضلة والحساب عند الله بالتقوى والعمل الصالح.

ولعلك تلاحظ معي أن بداية هذه الظاهرة بتفوق الجنس الأسود في معظم ميادين الحياة بل في كل ميادين الحياة فتجدهم قد برعوا في الرياضة بما أعطاهم الخالق من قوة بدنية والهبّة الخاصة وفي الفن تجدهم في الصفوف الأولى، وهم النجوم لأعظم مدينه للسينما وهي هوليوود وفي المصارعة والملاكمة أبطال العالم هم السود وإذا تطرقنا أكثر سنتكلم عن الأسود في كل الميادين.

وظهر لنا الأسود متميزا في العمل السياسي وعلى سبيل المثال (كولن باول.وغاندي. ومانديلا وكوندليزا ريس). وغيرهم من السود كثير.

وبدا واضحا لكل الناس عامة والذين اعتقدوا بأننا غير متساوين خاصة بأننا رأينا بأعيننا القيادة والوصول إلى أعلى المناصب القيادية في العالم ( البيت الأبيض) ورئاسة أمريكا لرجل أسود وزوجته السوداء وهو الرئيس (باراك اوباما) وهو من أصل إفريقي ووالده يدين بالدين الإسلامي، فأصبح قائدا ورئيس أكبر دولة في العالم ويقوم بالعمل لديه أصحاب البشرة البيضاء وأصبح السود هم أسياد العالم ولم يكونوا أغبياء كما وصفوا من قبل فأين غباء الأسود وذكاء الأبيض؟

فلك أن تلاحظ عزيزى القارئ بأن الرد جاء قويا من الله للناس أجمعين عامة الذين اعتنقوا فكر الیوجینیا، خاصة الذين اعتبروا الذكاء العقلى هو المحك الرئيسى لحركتهم وهى التفرقة العنصرية بين الأبيض والأسود. ولكن تبدلت الأدوار وأصبح صاحب البشرة البيضاء هو من يخدم صاحب البشرة السوداء وبذلك (الأسود يسود) وسبحان الله فلعلك يا عزيزى القارئ أن تكون تيقنت ماذا يفعل الفكر بالشعوب وما له من سحر فى أموره الظاهرية وليخفى حقيقة باطنية فى أنفسنا والتي وهبها الله للناس جميعاً وهى المؤدية للتميز والإبداع والابتكار وهى الهبة الخاصة أى «الميول الخاص» للأفراد.

وأعنى بهذا العرض لبعض أفكار الغرب والتي نقودنا دائما إلى التخلف والجهل لنكون متلقين دائما لأفكارهم ومستخدمين لابتكاراتهم من أجهزة وأدوات وتكنولوجيا.....إلخ. فلعلنا نكون أصحاب فكر حقيقى يتماشى مع بيئتنا وأخلاقنا الحميدة المستمدة من الخالق لا من المخلوق.

## الفصل السادس

### مثالب الألفاظ والفكر بدون تعقل

ينبغي أن نعلم كما جاء في كتاب (نظرات على الديانات الشرقية) بأن أى فكر خاص بالعقل والسلوك الإنسانى والقيم عند بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع والنفس الغربيين ليس له علاقة بالأديان ولا يخضع هذه الأفكار إلى وجود أى علاقة بين العبد وخالقه، وهؤلاء الفلاسفة وأصحاب نظريات الذكاء ظنوا أن الإنسان استطاع أن يحصل لبنى نوعه أمرا قد فات الدين إدراكه. وهذا الأمر هو: ذلك التقدير الشديد للعقل الإنسانى، واتخاذة أساسا مهما للتشريع والإلزام بما يشرعه المكلفين به، ومجازاتهم على معاييرهم «أى تفاوت ذكائهم».

ولك عزيزى القارئ بأن تلاحظ أن الواقع والملموس فى مجتمعنا المصرى خاصة ومجتمعنا العربى والعالم الثالث عامة أننا نتلقى سلسلة من الأفكار المرتبة والممنهجة بدقة ومواكبة للتقدم والتطور للإنسان البشرى وهدفها واحد وهو «التفرقة» بين الأفراد والمجتمعات وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة وأذكر لك بعضها.

#### سلسلة الأفكار والتفرقة:

١ - حركة جالتون والمسماة «اليوجينيا» والمحك الرئيسى لها «الذكاء» وهذا منذ ١٨٨٣ م. وهدفها «التفرقة العنصرية» ونظريات الذكاء لترسيخ

التفرقة العنصرية واعتباره المحك الرئيسي للفروق الفردية. والتي أدت إلى تغييب معظم الناس عن الحقيقة لاكتشاف القدرات الخاصة للأفراد والمؤدية للإبداع والابتكار.

٢ - تشجيع الهجرة إلى البلاد المتقدمة الأوروبية والأمريكية إما بغرض الدراسة والإمكانيات أو إيجاد فرصة للعمل في الأراضي الشاسعة والمراد بها ظاهريا مساعدة العالم الثالث، ليقوموا بالخدمة والفلاحة والقيام بالأعمال الخدمية فقط وتسهيل بث الأفكار لهم والمراد نشرها والاعتقاد بها.

٣ - انتشار وبث فكر «العلمانية» والتي جاءت بعد التقدم العلمى الباهر الذى اعتمد على العلم، ولقد جاء هذا المصطلح بمعنى يعتمد الاعتماد على التقدم العلمى وهذا شىء جميل ويحفزنا الله عليه دائما. فنلاحظ بأن فريق من الناس اعتنقوا هذا المفهوم الحقيقى والأخذ بالحقائق العلمية دون التناقد مع مرجعياتهم الدينية وهذا هو الأمتل والأفضل بالنسبة لكل انسان له عقيدة دينية تقربه إلى الله دائما وأن العلم والأبحاث تدل وتؤكد قدرة الله المدبر للكون كله ومعطى ومانح لكل العلوم والأفكار وجاء الفريق الآخر ليعتبق العلمانية بوجهة نظر أخرى وهى الأخذ بالعلم فقط وعض النظر عن أى معتقد ديني، وهذا أدى إلى التفرقة بين الناس من هو العلمانى الذكى المتقدم والمتقف والمتطور مع العصر وغير العلمانى والموصوف بأنه لا يريد التقدم بالعلم ولا يريد التطور ومواكبة العصر العلمى للنهوض والرقى واختيار أشياء لتجعله ساكنا بل تجعله متخلفا ومتحجرا.

ولك أن تلاحظ أن هذه العلمانية أنتجت فريقين وانتشرت لترسيخ التفرقة العنصرية بين الأفراد والمجتمعات لدرجة أنك تلاحظ هذا في الأسرة الواحدة، من يعتقد بالعلمانية ومن يرفضها. بالرغم من أن العلمانية الحقيقية ومفهومها الصحيح يؤدي إلى التقدم والوصول إلى قدرة الله.

٤ - وجاء الفكر (الديمقراطي والليبرالي) اللذان اقترنا بالعلمانية فمن يريد أن يكون ديمقراطيا حرا في رأيه يكون علمانيا، فظهرت التفرقة الكبيرة بين الناس ولقد تم اقتران الحرية بالعلمانية والمتحررون العلمانيون هم الديمقراطيون الأحرار، فانتجت طوائف أخرى وصفوا «بالرجعيين المتخلفين» فلك أن تلاحظ بأن الألفاظ والكلمات لها قوة السحر على النفس البشرية للوصول لها على الرغم بأنها لم تصل بالفرد لشيء حقيقى لوصفه بهذا اللفظ أو ذلك المعنى بل تزيد التعصب للأفكار لتزيد قوة التفرقة وزيادة الفجوة بين الناس لتغيبهم عن الحقيقة الإلهية وهى قدرة الله على تواجده الهبات الخاصة لكل إنسان بعدم تعاونهم بالبر والتقوى بل ليستمر النزاع والصراع والتفرقة بين الناس.

على الرغم من أن كل هذه المصطلحات بمعانيها الحقيقية يحثنا عليها الله دائما وهى الأخذ فى كل الأمور الجماعية والتي تخدم كل المجتمع وهى بأن يكون الأمر بالتشاور بين الأفراد للوصول للأنسب والأفضل وهذا جاء بمعنى (الأمر شورى بينكم).

وأىضا أن يكون الإنسان حرا ومتحررا من العبودية وعدم التفرقة

والتمييز بين الناس ولهم الخيار فى اختيار أحد الطريقين: الفجور أو التقوى، وأن الحساب سوف يكون لكل فرد على ما سلكه من أحد الطريقين. إما إلى جهنم وإما إلى الجنة. فأنت حر ما لم تضر الآخرين أو تغضب الله عليك.

٥ - وجاء التقدم الكبير فى علم الوراثة والجينات الوراثية وعلم الهندسة الوراثية والجزئيات البيولوجية فأوهموا الناس بأنهم قادرون على فعل كل شيء حتى يصنع إنسان ذكى بطريقة طفل الأنابيب. وجاءوا بعلم فأوهموا الناس بأنهم قادرون على عمل «خلية صناعية» ولك أن تلاحظ بأن هذه الأفكار العلمية التى انتشرت بأن لهم القدرة على صناعة كل شيء من العدم وهذا قمة الخطأ لأنهم لم يفعلوا ولن يفعلوا ولكن ليبعدوا الناس عن معرفة قدرة الخالق فقاموا بزرع أشياء ظاهرة لتقافات فكرية وهمية وغير حقيقية هى الأخرى مثل كلمة الذكاء.

وأنا أقول أفكار وهمية وهذا لأنهم بالفعل لم يقوموا بصنع إنسان ذكى ولا حتى غبى ولا حتى أى مخلوق متناهى الصغر ولا يرى بالعين المجردة وأيضا لم يستطيعوا ولن يقدرُوا خلق (خلية صناعية) وأعقب على ذلك للتوضيح، بأن صنع الأشياء دائما من الطبيعة وأقصد هنا بأن الشيء المصنوع لم يكن موجودا بين الناس من قبل مثل المصباح الكهربى والتليفون والطائرة والكمبيوتر..... إلخ.

ولكن المواد المستخدمة فى الصناعة والابتكار موجودة فى الطبيعة

التي خلقها الله القادر على الخلق أو صنع الأشياء من العدم، ولكن قام بعض العلماء بصناعة المواد الكيميائية المكونة للحامض النووي (DNA) المماثل لخلية حية معينة ووضعها في خلية حية أخرى وكل هذا موجود ومخلوق من الله ولم يأتوا بجديد أو صناعة من العدم.

وللأسف الشديد تلقينا بنشر هذا الخبر في الإعلام في النشرات الإخبارية وقام شخص يدرس بالخارج في هذا التخصص بالتعليق غير الموضح للحقيقة وحزنت أكثر لعدم وجود توضيح من علمائنا المتخصصين في هذا العلم للناس الحقيقة كاملة على وضعها الدقيق والحقيقي، وهو نقل مادة كيميائية مماثلة من خلية إلى أخرى فهم بذلك يتركون الناس للتخبط والذي يزعم بعض النفوس المريضة وحتى العلماء غير المتخصصين في هذا العلم.

٦ - وجاء عصر المعلومات والاتصالات والذي جاء معه كلمة «العولمة» والتي ساعدت ويسرت على نشر الثقافة الفكرية والأخلاقية المراد نشرها بين الناس لتزيد التناقضات والاختلافات والحريات غير المحدودة لفعل أي شيء دون قيود ولا حدود فشاعت «الفوضى الخلاقة» وهذا المصطلح الجديد والحديث علينا.

فبدأ الصراع والاختلافات الشديدة بيننا والتعصب كل منا لرأيه، فحاول كل فرد توصيل رأيه للناس ليكون نجما في المجتمع وتصارعوا على الظهور في الفضائيات الكثيرة والعديدة ولاعتقادهم بالمصطلح الأحدث وهو «الصفوة».

فأرى من وجهة نظري أن معظم الناس يحاولون أن يكونوا من رجال الصفوة أو الحكماء وجاء كل رجل يعتقد أنه من الحكماء ورجال الصفوة بأن يفتى ويصرح ويتحدث في أى ميدان من ميادين الحياة لأنه أوهم نفسه بأنه ذكى العقل، وناصح وفهوى ويستطيع إقناع الناس بما يريد سواء كان خطأ أو صواباً.

فيقوم البعض من المتخصصين بالخبرة في أى ميدان بالإفتاء والرشد في كثير من الميادين الأخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفهلوية وحتى وصلت بهم أن يفتوا في الدين.

لعلك تلاحظ عزيزى القارئ من يقوم بالفتوى في الإرشاد في أى ميدان غير ميدانه وكأنه يعلم في كل الميادين فهو يرتكب خطأ في حق الناس غير الواعيين وهم كثيرون في مجتمعنا بل هم الغالبية حتى ولو كانوا أساتذة بالجامعات.

ولك خلاصة القول في هذا الأمر وهو نتاج سلسلة الأفكار التى تلقيناها من غيرنا وتوارثناها جيلا بعد جيل حتى وقتنا هذا.

فهذا الفكر كيف نأخذ به وهو يعارض ما خلقنا عليه ولكن نجد على العكس تماما بأن القرآن الكريم يهتم بالعقل اهتماما شديدا، فهو يعطيه قدرة دون أن يحمله فوق طاقته. سوف نقرأ ونتأكد في الجزء الخاص «بالهبة»، من الآيات القرآنية البديعة والتي تتناول العمليات العقلية بالتفصيل وهى التفكير والتعقل والتذكر وما لهم من أهمية بالنسبة للإنسان

وأیضا عند اللوم والعتاب الشدید من الله بعدم استخدام هذه العمليات العقلية للهداية والسلوك الصحیح والتعاون والتكيف مع البيئة فى الحياة الدنيا والذى یقربنا الى الله لیرضا عنا.

- فكيف نقضى بالأفاز وأفكار دون التعقل والانتباه إلى معناها الحقیقی فهى قد لا تتماشى مع مجتمعاتنا بعاداته وتقاليده الأخلاقیه المستمدة من عقائدنا. وهذه الأفكار التى ظهرت لنا بالكلمات والأفاز التى لم تعط المعنى الحقیقی والمفهوم الواحد عند الناس. فهذه الكلمات والأفاز التى جاءتنا من أشخاص عاداتهم وتقاليدهم غالبا تكون مختلفه عنا. وقد أخذنا هذه الأفكار بدون تفكر وتعقل فغيبنا عن الحقیقة وكان هذا بقصد أو بغير قصد لهؤلاء الأشخاص.

فإنك عزیزى القارئ إذا أيقنت ما أقوله وكان صحیحا فیحب أن نلوم أنفسنا ولا نلوم غیرنا لأننا تلقينا هذه الأفاز والأفكار بالرغم من أنها ضد عقیدتنا التى وضحت لنا ولكل الناس فى الكون ما هو دور العقل فى الإنسان لیقودنا إلى الطریق المستقیم ولینسق مع النفس برغباتها وبهباتها الخاصه والتى هى المسئولة عن التميز والإبداع ولیكون لكل فرد هبته الخاصه لتجعله منفردا بقدرة خاصة لیخدم بقية الأفراد من الكون كله.

الموهبة:

ولقد شاعت كلمة بین الناس وانتشرت بقوة بسبب سهولتها فى المشاهدة من السلوك الظاهرى لبعض الناس وهى كلمة الموهبة التى فى أصلها

اللغوى «الهبّة» فأطلقوا على كل إنسان يمتلك هذه الموهبة أنه موهوب وأعادوا وجود هذه الموهبة إلى نوع من الذكاء العقلى لهؤلاء الأفراد المتميزين بمواهبهم فمنهم فى الرياضة أو الموسيقى أو الشعر أو الرسم أو الفن.

ولعلك تجد بأن علماء النفس والاجتماع ومن قبلهم الفلاسفة والمفكرون اقتصروا بهذه الموهبة فى جزئية قليلة جدا من ميادين الحياة. وبهذا القصر أو الاختصار بهذه الموهبة لميادين محدودة من ميادين الحياة الكثيرة والتي لا تعد ولا تحصى فهم أغفلوا وغيبوا الناس من بعدهم عن معرفة المعنى الحقيقى لأصل الموهبة وهى «الهبّة» التى جعلها الله خاصة لكل الناس وهم باعتقادهم الخاطى ووههم بوجود ذكاء عقلى فذهبوا إلى دراسة بقية الميادين من الحياة لمعرفة الفروق الفردية بين الأفراد فى كل ميادين الحياة.

وبعد قراءتك أيها القارئ للمناقشة والتحليل للمفاهيم السابقة فوجدت أنها متناقضة ومختلفة ولم تقبل من هؤلاء العلماء والذين اعترفوا بأنفسهم على عدم اتفاق على معنى حقيقى لكلمة الذكاء ولما رأوه من تفاوت فى القدرات الفردية للأفراد فأعادوها إلى تواجد هذه القدرات الخاصة إلى الذكاء الخاص لكل ميدان وجاءوا لنا بأحدث النظريات وهى الذكاءات المتعددة وأعادوها إلى القدرة الخاصة والتي تظهر الذكاء الخاص ولكن لم يتفقوا على ماهية القدرة، وبعدم معرفة ما هى القدرة وما معناها

أيضا اقتصروا بهذه النظرية على نقاط قليلة كما ذكرتها من قبل لا تتعدى العشر نقاط أو موضوعات من ميادين الحياة كلها والتي لا تعد ولا تحصى.

وأوضح لك أيها القارئ بأن قولهم واعتقادهم الخاطئ وإن كان مقصودا أو غير مقصود وهو اقتصارهم على الجزئية القليلة من ميادين الحياة لإغفال حق الله. لكنه وهب الناس الهبات العامة والخاصة بالتساوى لكل البشر ولما اقتصروا هؤلاء العلماء للأشياء الظاهرية في السلوك والتي لم يختلف عليها أحد أعادوها إلى شيء وهمى ومصطنع فى كلمة الذكاء لإغفال معظم الناس عن الحقيقة المؤدية الى الفروق الفردية والتميز للأفراد. ولكن لم يستطيعوا إغفال المؤمنين حقا والمعتقدين بأن الله خلق الناس جميعا متساوين فى كل شيء ولكنى ألتمس لهم العذر باستخدامهم هذا اللفظ الذكاء فى تفسيراتهم وفى حديثهم وقولهم متأثرين بعلماء اللغة العربية كما وضحت سابقا ولكن بإيمانهم الحقيقى وعقيدتهم الراسخة لكلمة ذكى أو غبى ولكن استخدموها لى تساعدهم على وصف الشيء الظاهر أيضا وليس الباطن والخفى فى التفسير وهو الميول أو الاستعداد وأيضا أرى وأستمع لبعض علماء الدين يميلون دائما لذكر كلمة الهبة دائما فى حديثهم ودروسهم.

وأضيف لك تحليلا لماذا جاءوا لنا العلماء والفلاسفة بالأشياء الظاهرة والسلوك البشرى فى الميادين القليلة التى أعادوها إلى الموهبة أو الملكة

لأنهم لم يستطيعوا اللعب فى عقول الناس لإقناعهم بشيء أو بسبب مصطنع من عندهم تعود إليه هذه الموهبة فأعادوها إلى الله ولكن استطاعوا إقناع كل الناس بأنه نوع من أنواع الذكاءات لأن هذه الهبات ظهرت فى سلوكهم وأصبحت سهلة المشاهدة والرؤية والاستماع عند كل الناس فأقروها بأنها من عند الله ولكن أعادوها لشيء لا وجود له فى العقل مما جعل الناس من الصعب والمستحيل التوصل إلى حقيقة الأمر والمعنى الحقيقى المفسر لكلمة «الهبّة».